

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الرجل الأخير

[www.lilias.com/vb3](http://www.lilias.com/vb3)  
^RAYAHEENA^

الأسرة العربية المصورة

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل

المتحيز

سلسلة

روايات

بوليسية

للمحامي

## الرجل الآخر

● ترى ماذا فعل القاطرات المصرية بعد

مصرع ( أحمد حمري ) ؟ ..؟

● هل يمكن إعداد بديل لـ ( رجل

المتحيز ) ؟ ..؟

● اقرأ الرواية هذه المرة بتركيز أكبر ،

فسواجهك حتمًا مفاجأة ..

[www.lilas.com/vb3](http://www.lilas.com/vb3)

RAYAHEEN



## ١ - البديل ..

غُلف الظلام تمامًا تلك القاعة الواسعة ، المحاطة بجدران من الزجاج المتعدد للخصائص ، في قلب مبنى المخابرات العامة المصرية ، وبدأت لأعين المراقبين خارجها ، وكأنها هي محالة ساكنة صامتة ، على الرغم من لفتهم بوجود رجل يتحرك داخلها بحقة قط حذر ، حتى انتصب فيها فجأة قتال يشبه رجلًا يسلك مدسه ، مع وميض أشبه بفلاش تصوير سريع ، أعقبه صوت رصاصة مكثومة ، انطلقت من مسلسل مزود بكاتم للصوت ، اتبع وميضها من مصدرها ، قبل أن يضاف إلى مسامع المراقبين صوت ارتطامها بالقتال ، ثم أعقب ذلك انتصاب قتالين آخرين ، انطلقت رصاصات مسلّهما نحو مصدر الرصاصة الأولى ، إلا أن رصاصتين مكثومتين أصابتهما من مصدر آخر ، فسقطا بالحقان بزميلهما ، فتمهم مدير المخابرات العامة ، الذي يراقب ما يحدث من الخارج :

— لا بأس ..

اتسم مساعده انتسامة واسعة ، لم يسمح لها الظلام بالظهور على نحو واضح ، وهو يقول :

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن ( أدهم صبرى ) كل هذه المهارات .. ولكن ( أدهم صبرى ) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب ( رجل المستحيل ) .

د. نيل فاروق

— بل هو رائع في الواقع ياسيدي ، لقد اجتاز كل  
اختبارات الرماية بنجاح يبلغ سبعة وتسعين في المائة ، بالإضافة  
إلى إجادته التامة لمعظم رياضات الدفاع عن النفس ، ولحمس  
لغات حية ، و .....  
قاطعته المدير :

— لا بأس .. لا بأس .

ثم ضغط زرًا في مسند مقعده ، فأضيئت الحجرة الزجاجية  
المظلمة ، وبدأ داخلها شاب وسيم ، مفتول العضلات ، يرتدي  
قميصًا أخضرًا ، على الرغم من برودة الجو في هذا الوقت من  
فصل الشتاء ، وترسم على شفتيه ابتسامة وثقة مزهوة ،  
لنجاحه في اجتياز الاختبارات حتى نهايتها ، وتطلعت عيناه إلى  
مدير المخابرات ، وهو ينهض من مقعده ، ويشير إليه بابتسامة ،  
ثم انجبه نحو باب القاعة الزجاجية ، وفتحها وهو يدرس مسئسه  
في يده ، ومساعد المدير يقول في حماس :

— إنه أيضًا يجيد قيادة معظم المركبات : البرية والبحرية  
والجوية ، ويجيد التنكر على نحو جيد ، و .....  
وغير المدير في أسى ، وهو يقول :

— ولكنه لن يبلغ حتى نصف مهارته هو .

عقد مساعده حاجيه ، وهو يقول في ضيق :

— اصمح لي ياسيدي .. إنني لست بمن يعشقون العيش مع  
ذكريات الماضي .

التفت إليه المدير في صمت ، فتابع المساعد في شيء من  
العصية :

— عجلة الحياة لن تتوقف ، ومخايرنا تحتاج دومًا إلى رجل  
متسحر ، تلك المهئات التي لا تصلح إلا لرجل واحد ، وأنا أعلم  
كما يعلم الآخرون أننا كنا نملك فيما مضى أفضل رجل في العالم ،  
في هذا المجال ، ولكنه بقي مصرعه في ( المكسيك ) منذ ما يزيد  
على العام . وليس من المنطقي أن يبقى مكانه شاغرا ، فجرد أنا  
نعجز عن نسيان عبقريته وموهبته ومهاراته .  
ثم لَّوح بيده تجاه الشاب الوسيم ، الذي وقف صامعا ،  
واستطرد :

— ها هو ذا البديل .. شاب يمتلك مهارات مذهلة ،  
بالنسبة لعمره ، على الرغم من أنه لم يحصل على نفس تلك  
الفرصة ، التي حصل عليها المعجزة السابق ، بأن يبدأ مرانته في  
الثالثة من عمره .. ها هو ذا شاب يفوق أقرانه ، ويستحق عن  
جدارة لقب ( ن - ٢ ) .



زفر المدير مرة أخرى ، وألقى نظرة طويلة على الشاب  
الوسيم ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .. ولكنني لا أستطيع نسيان ( أدهم  
صبرى ) في سهرة .. ولو أنك عملت معه ، فلما فعلت أنا ،  
ما احتفظ شعورك كثيرًا .

ثم قال للشاب :

— تقدم يا هنى .

أجبه الشاب إليه في محطرات قوية والفة ، وقال واجتماعه

لم تفارق شفاهه بعد :

— الرائد ( حسام ) في خدمتك يا سيدي .

أومأ المدير برأسه ، على نحو بدا وكأنه لا يفتنى شيئًا ، ثم

قال :

— أنت الآن ثاني رجل يحمل حرف ( النون ) في كودده

السرّي ، بالنسبة لإدارتنا ، بعد رجل ( ن — ١ ) .. أنت عند

هذه اللحظة تحمل لقب ( ن — ٢ ) .

وزفر مرة ثالثة ، قبل أن يضيف :

— أنت بديل ( رجل المستحيل ) .

\*\*\*

أوقفت ( منى توفيق ) سيارتها الصغيرة في المكان المخصص  
لها ، في فناء مبنى اخبارات العامة ، وهبطت منها في ببطء ، وهي  
ترتدى معطف مطر أبيض ، وبدا ذلك الحزن المرتسم على وجهها  
وكأنها انخر مع ملاحظتها ، فصار جزءًا من تكوينها ، وهي تدس  
يديها الرقيقتين في جيبى معطفها ، وتوجه إلى المبنى ، ثم تنحرف  
داخله غير عثر عثر طويل ، فادخا إلى حجرة تحمل اسم : « حجرة  
المعلومات الخاصة » ، ودقّت بابها في هدوء ، ثم دلفت الباب ،  
ودلقت إلى الحجرة ، وقالت للرجل الجالس على المكتب المواجه  
للباب ، أمام جهاز كمبيوتر :

— صباح الخير يا ( صبحي ) .

قال الرجل دون أن يرفع عينه إليها ، وكأنها اعتاد الأمر :

— صباح الخير يا سيادة الرائد .. تفعلني .

جلست على المقعد المجاور له ، وحملت عينها مزيجًا من

الأنهفة والقلق والترقب والحوف ، وهي تسأله :

— هل من جديد ؟

رفع عينه إليها في ببطء ، وارسم فيما شيء من الشفقة

والعطف ، وهو يقول :

— أنت تعلمين ذلك حقًا ؟

لوحث بكفها ، قائلة في توثر :

— ولم لا ؟

تنهّد قائلاً :

— أعلم أن فقدان من نحب أمر عسير شاق يأسدني ،  
ولكنه واقع على الرغم من مرارته ، علينا أن نقبله صاغرين .  
اتقع الدمع في عينيها ، وهي تقول بصوت متعثرج :  
— من يدري ؟ .. ربما ..

قاطمها مُشفقاً :

— ربما ماذا يا سيادة الرائد .. لقد لقي سيادة المقدم  
( أدهم صبرى ) مصرعه منذ عام وثلاثة شهور كاملة ، في  
انفجار مروّع ، لا يحقل أن تنجو منه حشرة واحدة ، ولقد  
التقط رجالنا صورة للجبل الذي كان داخله ، وقد تحوّل بعد  
الانفجار إلى كومة من التراب ، فكيف ينجو رجل من هذا باغث  
عليك ( ٥ ) ؟

تفرق الدمع في عينيها ، وانحدرت دمعاً سائحة تلهب  
وجنتها ، وهي تفعلهم :

— إنك لا تعرف ( أدهم ) .

( ٥ ) راجع قصة ( وكر الإرهاب ) .. المأخرة رقم ( ٨٠ ) .

هف :

— كلنا كنا نعرفه ، ونعرف أنه ليس بالرجل العادي ،  
ولكنه مجرد بشر ، وكل البشر يموتون .. طال الزمن أم قصر ..  
كلهم .

انهمر الدمع من عينيها في غزارة ، وهي تقول :

— من الصعب أن أصدق هذا أو أستوعبه .. لقد واجهت  
مع ( أدهم ) أهوالاً ، كان من الممكن أن يلقى مصرعه في كل  
منها ألف مرة ، ولكنه نجا ، و .....  
قاطمها :

— ولكل شيء نهاية .

ازداد انهمار الدموع من عينيها ، فأضاف في لحفوت :

— إنها ستة الكون .

نهضت في بلاء ، وقد اكتسى وجهها كله بالدموع ، وهي

تتم في شحوب :

— نعم .. إنها ستة الكون .

تابعها بعينه في إشفاق ، وهي تغادر مكتبه مترلحة  
كالسكرى ، وهز رأسه وهي تفلق الباب خلفها ، وقال في  
عطف :

— ياله من حُب !

أما هي ، فقد بدلت أقصى جهدها ، تمنح نفسها من الانعطاف في بكاء ونحيب ، وهي تعبر أروقة الإدارة ، إلا أنها عجزت تمامًا عن منع ذلك السيل من الدموع ، الذي سال على وجنتها ، فأسرعت تطرق بابًا ، وتفتحه قبل أن يدعوها صاحبه للدخول ، ثم تدلف إلى الحجرة ، وتطلق الباب خلفها في قوة ، قبل أن تلقى جسدها على أقرب مقعد صادفها ، مع هتاف ( قدرى ) ، صاحب الحجرة :

— ماذا حدث ؟

لوحث بكفها ، وهي تشيح بوجهها ، قائلة :

— لا عليك .. لم يحدث شيء .

الترب منها في عطف ، ورثت على كفها في حنان ،

هامسًا :

— هل تذكره ؟

نخمت باكية :

— إنني لم أنسه بعد .

رثت على كفها مرة أخرى ، ومنع دموعه في صعوبة ، وهو يجلس إلى جوارها ، قائلًا :

— ومن يمكن أن يساه ؟ لقد كان أعظم رجل عرفته في حياتي كلها .. إننا لن نعوضه أبدًا .

قالت وهي تمسح دموعها :

— لست أدري لماذا يصرف قلبك على أنه ما يزال حيًا يروني ؟

لقب قلبه ، قائلًا في نفس :

— كيف ؟ .. وأين ؟ .. لقد تشبث رجائنا بهذا الاحتمال كما

تعلمين ، وانتشروا يجمعون المعلومات ، بعد انطجار وكبر

( بانشو ميلازر ) ، ولكن حقيقة واحدة لم تلبس إلى بقاء

( أدهم ) على قيد الحياة .. صدقيني إن حزني يضارع حزنك ،

ولكنني أعلم أنه ما من وسيلة لمعادلة القدر .. لقد لقيني ( أدهم

صبري ) مصرعه ، بعد حياة حافلة ، وبنهاية مشرفة ، ومن

الضروري أن نقبل هذا ، على الرغم من حزننا وآلامنا ..

قاطعه صوت يقول في هدوء :

— أليس كذلك ؟

أدار الاثنان عيونهما إلى الباب ، حيث يصدر الصوت ،

وبدا فما الرائد ( حسان ) بقامته المشوقة ، وملاحه

الوسيمة ، فغمضت ( منى ) في عدوالية واضحة :

— ماذا تريد ؟



دلف إلى الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه في رفق ،  
ثم يذهب مقعداً ، وجلس في مواجهة ( منى ) ثامناً ، وتطلع إلى  
عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— أريدك أنت .

قالت في عصبية :

— أى قول سخيف هذا ؟

ابسم في هدوء ، وكأنما يقدر مشاعرها ، وقال :

— الخبي أننى كنت أبحث عنك .. لقد أخبروني أنك كنت

تسرين في الممر باكية ، ثم دلفت فجأة إلى حجرة عزيزنا

( قدرى ) ، فأبيت لأطمئن عليك .

قالت متوترة :

— شكراً لك .

لزم ( قدرى ) الصمت ثامناً ، واكتفى بمراقبتها ، في حين

تطلع ( حسام ) إلى عيني ( منى ) لحظات في صمت ، قبل أن

يسألها في هدوء :

— لماذا تكرهينى يا ( منى ) ؟

هضت :

— أكرهك ؟! ما الذى دفع تلك الفكرة الحمقاء في

راسك ؟

أجابها في هدوء :

— أنت .. أسلوبك العدواني في التعامل معى .. عصبيتك

الزائدة كلما التقينا أو تحدثنا .. أعود هذا إلى أننى بديله ؟

عقدت حاجبيها ، قائلة في جدّة :

— بديل من ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— بديل ( أدهم صبرى ) .. بديل ( رجل المنحيل ) ..

هتفت في ثورة :

— بديله ؟! أنت وأهم لو تصوّرت هذا .. أنا وحدى

أعلم من هو ( أدهم صبرى ) .. أنا وحدى رأيت كيف يعمل ،

وكيف يسحق من الخطر والموت .. اسمع يا رجل .. لقد كان

( أدهم صبرى ) فلتة .. معجزة .. شيء لا يتكرر أبداً في الجيل

الواحد .

ابسم وهو يقول :

— ومن أنكر هذا ؟

ثم مال نحوها ، مستطرداً :

— ولكنه لم يقد يمتد إلى هذه الحياة ، ولست من هواة

عبادة الأصنام .. لقد مات ( أدهم ) يا ( منى ) .. مات ولن

يعود إلى عالمنا مرة أخرى .. أفقهين ؟



انحدرت دموعها مرة أخرى ، وهي تنف :  
— لا .. لا تقل هذا .

أمسك بمعصمها بقوة في قوة ، فأتلا في حزم :  
— لا فارق بين قوله أو كتابه .. إنها الحقيقة يا ( منى ) ..  
الحقيقة التي ترضين الاعتراف بها ..  
غمغم ( قدرى ) في حزن :

— إنه على حق .  
استدارت ( منى ) إليه في جدّة ، وهتفت مستكرة :  
— حتى أنت !!

قلب قلبه ، فأتلا في مرارة :  
— ومن يملك لدى القدر ؟  
حدقت في وجهه الحزين لحظة ، ثم التفت إلى ( حسام ) ،  
وقالت وهي تجذب معصمها من قبضته :

— حسنا .. هالاً تركت معصمى ؟  
استجاب لطلبها في بساطة ، وظل يتطلع إلى وجهها ، وهو  
يقول هامساً :

— أتعلمين أنك غائبة حقاً ؟  
رمقته بنظرة استكثار ، وهي تقول ساعطة :

— ماذا تقول ؟

أجابها مبتسماً :

— ألعل إنك جميلة حقاً ، ولكنك تدفين جمالك هذا خلف  
ذلك القناع الكبير ، حتى ليكاد الناظر إليك يظن في تقدير  
عمرك الحقيقي ، ويضيف إليه عشر سنوات كاملة .  
قالت في عصبية :

— اسمع يا ( حسام ) .. ماذا تريد منى بالضبط ؟  
أجابها وابسامته تصع :

— أريد أن أفعل ما أم يفعله ( رجل المسحبل ) .  
وملأت ابسامته وجهه كله ، وهو يضيف :  
— أن أتزوجك .

\*\*\*



## ٢ - معجزة ..

مضت دقيقة كاملة ، و ( قدرى ) و ( منى ) يحدقان في وجه ( حسام ) ، وفي ابتسامته التي تملأ وجهه كله ، قبل أن تهلف ( منى ) مستكرة :

— تزوجنى أنا ؟

ضحك لالكا :

— بالتأكيد .. إننى لن أتزوج ( قدرى ) ، ولا يوجد سواكما منى هنا في الحجرة ، لأوجه إليه حديثى .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، قبل أن تفسر ( منى ) في غضب مكثرة :

— أتريد أن تزوجنى أنا ؟

هز كفيه ، وقال :

— ولم لا ؟ .. إننا مظاريبان معزاً ، وأنا أجدك فاة مثالية ، ثم إننى قد اجتزت الاختبارات كلها بنجاح ، وأصبحت أحل لقب ( ن - ٢ ) .

مضت مستكرة :



مضت دقيقة كاملة ، و ( قدرى ) و ( منى ) يحدقان في وجه ( حسام ) ، وفي ابتسامته التي تملأ وجهه كله ..

ثم مالت هي نحوه ، فائلة في عصية .

— أنظرتني أحبت ( أدهم صبرى ) ؛ لأنه كان يحمل لقبه

( ن — ٩ ) ؟

قال مبسمًا :

— ليس من أجل القلب بالتاكيد ، ولكن للأسباب التي

منعته إتياء .

هضت :

— عطفًا .. إنني لم أحب ( أدهم صبرى ) لأنه كان قزًا

أو صديقًا ، أو لأنه كان يهد عدة مهارات وقدرات ، أو

يصعد عدة لغات لقد أحبت ( أدهم ) لأسباب لن تفهمها

أبدًا .

قال في هدوء :

— اشرحها لي .

أرتبكت بعض الشيء ، وهي تقول :

— إن ( أدهم ) لم يكن .. لم يكن مجرد رجل مخايرات

مدهش ، يفوق كل المراته في هذا المجال فحسب ، بل كان إنسانًا

له قلب من ذهب . كان يتحسس جراحك بلمسات

حانية ، بنفس اليد التي تحطم قبضتها العملاقة .. كان يمسحك

بأجسامه الأمل والحب ، بنفس القدر الذي يمنح بها أعداءه

الغضب والخوف . إن ( أدهم ) لم يكن رجلًا عاديًا .. لقد

كان فارسًا ، يجمع بين كل الصفات الجميلة في الدنيا .. كان

يحب ( مصر ) ، بقدر ما يكره أعداءها . كان لا يقتل

إلا دفاعًا عن نفسه ، وعندما تحتم الأمور ذلك بلا بدائل . كان

يجمع كل المتناقضات في آن واحد . يكره ويحب . يصرب

ويحنو . كان رجلًا في زمن لئس فيه الرجال .

قال في هدوء :

— ومن أدراك أني لست كذلك ؟

نظمت إليه لحظات في حيرة ، معتمدة .

— أنت ؟

بعض قليلًا :

— نعم أنا . اسمي يا ( منى ) . إنني أطلب منك

الزواج رسميًّا ، أمام صديقنا ( قندى ) ، وأعلن لك أنني لست

أغار من ( أدهم صبرى ) ، فلا أحد يطار من رجل ميت ..

فكّرتي في الأمر ، وسأنتظر .

قال كلماته وغادر الخبيرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه ،

فأدارت ( منى ) عينيها إلى ( قندى ) وهي تقول مستكة

— يتروّجنى أنا ١٧

تطلع إليها ( قدرى ) لحظة مشغعا ، ثم خفض عييه ، قائلاً .

— ولم لا ؟

هتعت

— لم لا ١٩ سأعرك أنا لم لا يا ( قدرى ) لأنى

مارلت أحب ( أدهم صبرى ) ، ولى أتروح سواء هل

فهت ؟

وبهتت من مقعدها فى حركة حاذة ، وجذبت الباب فى

قوة . مستطردة

— ولتذهب كل نظريات الحياة إلى الجحيم

وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، ورفع ( قدرى ) عييه إلى

الباب الملقى ، وسمح اعبراً لدمعة حية أن تفر من مقعدها ،

ولسبل على وجهه ، وهو يهمهم

— ومن يساه يا بيتى ؟ من يساه ؟

وتفجرت دموعه بلا انقطاع

\*\*\*

لم لذر ( منى ) كم عملت ، ولا كيف عملت فى ذلك اليوم ،

ولكنها عندما ارتدت معطف المطر الخاص بها ، وهتت

بالانصراف ، كانت الحال التجارية قد أغلقت أبوابها ، وكانت

الشوارع قد حلت من المارة تقريباً ، فانجهت هى نحو سيارتها ،

وحاولت إدارة محركها ، إلا أن السيارة لم تستجب مطلقاً ،

فغمممت هى فى حلق

— ماذا أصاب هذه السيارة اللعينة ١٤

فجئت ، باعها صوت ( حسام ) ، وهو يحكى عند نافذة

السيارة ، قائلاً :

— ربما فرغت بطارياتها ، فنقد نسيب جنونها مضياء مد

الصباح

التفتت إليه فى حلق ، وهى تقول :

— ولم لم تنهى إلى ذلك فى الصباح ؟

ابتسم قائلاً .

— لقد نسي

جدبت مفتاح السيارة فى حذو ، وألفته فى جيها ، وهى

تعادرها قائلة فى عصبية .

— لا بنى سأبحث عن واحدة من سيارات الأجرة

أخرج مفاتيح سيارته من جيها ، وهو يقول مبتسماً .

— يمكنى أن أوصلك ومجاناً



قالت في حدة وحرم :

— لا

كانت تتوقع منه إصراراً ، إلا أنه اكتفى ببركته ، قاللاً .

— كما يملؤ لك

ثم اتجه إلى سيارته ، وانطلق بها ، ملوّحاً بيده ، هاتفاً

— إلى القد .

أخفها أن يتركها وحدها هكذا ، وسط المطر ، إلا أنها لم

تلبث أن غففت في صرامة .

— ولو

وشادرت المني على قدميها ، ودست كفها في جيب

معطفها ، وراحت تدير تحت الزناد صامعة .

وتذكرت ( أدهم ) .

إنها دوماً تتذكره .

لم تنس أبداً .

لم تفارق صورته رأسها لحظة واحدة ، منذ انفجر به وكر

( بالشو ) منذ عام وربع العام

ومن قلبها انحدرت دموع .

لقد كانت تحبه حقاً .

تحبه من أعماق أحشائ روحها

وفي تلك اللحظة ، شعرت بدم هائل لأنها لم تتزوج ،

وراح تلوم نفسها على رخصها غير المنطقي له ، على الرطم

من حبها الشديد .

ووجدت نفسها تغمم باكياً

— آه . لو تعود !!

احطت دموعها بقطرات المطر ، واتصل شعرها المتبل

بجبهتها ورأسها ، وقد انشغلت بأفكارها وذكراتها ، فراحت

تقطع الطريق سائرة على غير هدى ، حتى أبقتها بضة صوت

أحش يقول .

— إلى أين يا طائتي ؟

انصبت فجأة إلى مئة شبان يعرضون طريقها ، ووجوههم

تحمل ابتسامة خبيثة ، فقالت دون تحرف .

— ماذا تريد يا فتى ؟

أخرج من جيبه مذبة ذات نصل حاد ، وراح يهزها أمام

وجوها ، وهو يقول بملء النهمة الخبيثة القيمة :

— خمنى ماذا يريد ؟

فجأة ، تحول كل الغضب المكبوت في قلبها تجاه هؤلاء

الشبان

وفجأة انفجر ..

ولاريب أن ذلك الشاب سيظل يمتشي الفتيات طيلة  
عمره ، بعد أن تحركت قبضة ( منى ) فجأة ، يكل الغضب  
الراقد في أعماقها ، وغاصت في معدته كالقنبلة ، قبل أن تمسك  
قبضتها الأخرى بمعصمه ، وتلويح في حركة مباغتة ، فحبره على  
إسقاط ملجئه ، ثم لرفع قبضتها الأولى ، فتشم بها سنن من  
أسنانه الأمامية ، في لكمة عذيفة

وتخطف الشبان الخمسة الآخرون ، على الرغم من دهشهم  
وغرلهم لما أصاب رطلهم ، وهتفت بهم ( منى )  
— أنتشدون القتال ؟.. هنا أروني قوتكم في مواجهة  
هذه وحيدة .

تردّد الشبان الخمسة ، ما بين الخوف والغضب ، ثم ظهر  
كل منهم مديعه في حركة حياكة ، وراحوا يلتصقون حول  
( منى ) ..

وهنا فقط أدركت ( منى ) أنها لن تريح للمركة .  
لن يمكنها أبدا الفوز على خمسة شبان مسلحين بمفردها ..  
وتراجعت في قولر ..  
وفجأة ، برز من وسط الظلام حبيح مشوق القوام ، انقضّ  
على الشبان الخمسة كالصاعقة ..

وقبل أن يدرك الشبان الخمسة ما حدث ، كان قد أحدهم  
قد عظم بكمية كالقنبلة ، وتهشم كل أسنان الناب بأخرى  
ساحقة ، وكان الثالث يتلوى من مطرقة حديدية غاصت في  
معدته ، والرابع عنق فاقد الوعي ، وقد استحال أنفه إلى كومة  
من اللحم المفري ، في حين سحق الخامس في أن يشهر مديعه ،  
ولكن مهاجمه أطاح بالمديعة بلكمة عذيفة ، ثم رفع قدمه ليوكل  
وجه الشاب ركنة انفجرت بدوي مكسوم ، قبل أن يسقط  
الشباب الأخير أرضا .

وخفق قلب ( منى ) في قوة ، وهي تحاول اختراق حجب  
الظلام ، لتبر وجه ملجدها ، وهي تعقم  
— ( حمام ) ؟! أهوانت ؟! أهوانت يا ( حمام ) ؟  
ارتجف قلبها بين صلوغها ، وانسعت عيناها في دهول .  
عندما ألتها صوت لم تسمعه منذ عام وربع العام ، يقول في  
حان  
— بل هو أنا يا ( منى ) .

ول نفس اللحظة ، اتسع البرق في السماء ، وسقط وميضه  
على وجه ملجدها ، فشغقت ( منى ) في قوة ، وهتفت :  
— مستحيل !  
ثم سقطت فاقدة الوعي بين ذراعيه  
بين ذراعي ( أدهم صري )  
\*\*\*

وفجأة انفجر ..

ولاريب أن ذلك الشاب سيطر يمتشي الفتيات طيلة  
عمره ، بعد أن تحركت قبضة ( منى ) فجأة ، بكل الغضب  
الراقد في أعماقها ، وغاصت في معدته كالقبلة ، قبل أن تمسك  
قبضتها الأخرى معصمه ، وتلويح في حركة مياحة ، فحبره على  
إسقاط ملهجه ، ثم لرفع قبضتها الأولى ، فتشم بها سنن من  
أسنانه الأمامية ، في لكمة عذيفة

وتخطف الشبان الخمسة الآخرون ، على الرغم من دهشهم  
وغرلهم لما أصاب رطلهم ، وهتفت بهم ( منى )  
— أنتشدون القتال ؟.. هنا أروني قوتكم في مواجهة  
هذه وحيدة .

لرؤد الشبان الخمسة ، ما بين الخوف والغضب ، ثم ظهر  
كل منهم مديعه في حركة حياكة ، وراحوا يلتصقون حول  
( منى ) ..

وهنا فقط أدركت ( منى ) أنها لن تريح للمركة .  
لن يمكنها أبدا الفوز على خمسة شبان مسلحين بمفردها ..  
وتراجعت في قولر ..  
وفجأة ، برز من وسط الظلام حبح مشوق القوام ، النضن  
على الشبان الخمسة كالصاعقة ..

وقبل أن يدرك الشبان الخمسة ما حدث ، كان قد أحدهم  
قد عظم بكمية كالقبلة ، وتهشم كل أسنان الناب بأخرى  
ساحقة ، وكان الثالث يتلوى من مطرقة حديدية غاصت في  
معدته ، والرابع عنق فاقد الوعي ، وقد استحال أنفه إلى كومة  
من اللحم المفري ، في حين لمح الخامس في أن يشهر مديعه ،  
ولكن مهاجمه أطاح بالمديعه بلكمة عذيفة ، ثم رفع قدمه ليوكل  
وجه الشاب ركنة انفجرت بدوى مكتوم ، قبل أن يسقط  
الشباب الأخير أرضا .

وخفق قلب ( منى ) في قوة ، وهي تحاول اختراق حجب  
الظلام ، لتبر وجه مفقدها ، وهي تعقم  
— ( حمام ) ؟! أهوانت ؟! أهوانت يا ( حمام ) ؟  
ارتجف قلبها بين صلوغها ، وانسعت عيناها في دهول .  
عندما ألتها صوت لم تسمعه منذ عام وربع العام ، يقول في  
حان  
— بل هو أنا يا ( منى ) .

ول نفس اللحظة ، اتسع البرق في السماء ، وسقط وميضه  
على وجه مفقدها ، فشغقت ( منى ) في قوة ، وهتفت :  
— مستحيل !

ثم سقطت فاقدة الوعي بين ذراعيه  
بين ذراعي ( أدهم صري )

\*\*\*

### ٣ — عودة البطل ..

فراغ وهيب تمتد إلى مالا نهاية .

و ( منى ) تملو ..

أقدامها ثقيلة ..

سافانا لغوصان في بحر سميك غمى

وبكل الدعر في أعمالها ، رآته أمامها

رأت ( ادعم ) ، يمدُّها يده ، ويصف باسمها .

ومذت يدها إليه ..

ورآته يبعد ..

جمعت كل لزعمتها في لسانها ، وحاولت أن تصرخ باسمه .

حاولت .. وحاولت ..

وهو يبعد .. ويبتعد ..

وأخيراً انطلق اسمه ..

صرخت باسمه بكل قواها ..

وهبت جالسة على قراشها ، مع صوت أمها المشرق ،

ويديها الخائبتين ، وهي تدفع كعيبا في رفق ، محاولة إعادتها

إلى الفراش ، متممة -

— رُوَيْدُكَ يَا بَيْتِي . رُوَيْدُكَ . كل شيء على ما يرام  
اطمئنى .

فصحت ( منى ) عينيها ، وتطلعت في مزيج من الدهشة  
والخبرة إلى حجرة نومها ، ثم دفعت وجهها بين كفيها ،  
وانفجرت بكاء حار ، وهي تقول :

— نفس الحلم يا أمّاه . نفس المشاهد . أحلم بأننى أقع  
في مارق ، ثم يظهر هو فجأة ، كما كان يفعل طفلة عمرها ، وينقضُّ  
على الأعداء ، ويحطّمهم بقبضه ، ثم يفتح ذراعيه لي ،  
فأسقط بيهما فاقدة الوعي .. نفس الحلم يا أمّاه .

ضمتها أمها إلى صدرها في حنان ، وهي تهمهم :

— لن يعاودك هذا الحلم بغد يا بَيْتِي كل شيء سوسير  
على ما يرام .. كل شيء .

انخرطت ( منى ) في بكاء حار ، وهي تقول :

— ولكننى أشعر أنه على قيد الحياة يا أمّاه .. ما زال قلبي  
يظنه .

رُبّت أمها على كعبها مشقة ، وهي تهمهم :

— إنه كذلك يا بَيْتِي إنه كذلك .

دفعت ( منى ) جسدها بعيدا عن صدر أمها ، وهتكت :



— إذى فانت تصدقين مشاعرى أخيراً يا أمّاه . تصدقين ما ينطق به قلبي .

غمغمت أمها ، والحيرة تملأ عيني

— لقد كانت مفاجأة مذهلة لي حقاً يا بيتي ، ولكن .

السمت عينا ( منى ) ، وأمسكت كفى أمها في قوة ، وهي مهتف :

— مفاجأة مذهلة ١٩ ماذا تفصدين يا أمّاه ؟ ماذا تفنين ؟

أناها صوتها الخيون الذائق القوى ، من عند باب حجرها ، وهو يقول :

— ترفلي بأهلك يا ( منى ) .

أدارت عيني ورأسها إليه في حركة عنيفة ، كادت تقطع عنقها من جذوره ، وحذقت في وجهه الذي يحميه الطلام ، وارتجف صوتها مع ارتدادة جسدها ، وهي تغمغم

— ( أدهم ) ؟! أهوانت ١٩ أهوانت يا ( أدهم ) ١٩

تقدم ( أدهم ) بضع خطوات ، ليسقط الضوء على وجهه ،

وارتجف قلب ( منى ) بين ضلوعها في فرح أسطوري ، وهي تتأمل وسامته وابتسامته العذبة في وجد ، قبل أن تسيل الدموع

من عينيها ، متممة :

— مستحيل !! لا ريب أنه خُلم خُلم حيل !!

قطع المسافة التي تفصله عنها بالخطوة واحدة ، واحتضن كفيها الرقيقة براحيه ، وهو يقول في صوت ملؤه الدفء والحنان .

— بل منى حقيقة يا ( منى ) .. إنه أنا . أنا ( أدهم

صبري ) . بشحمه ولحمه ودمه وأعصابه . هو أنا

يا ( منى )

صالت الدموع من عينيها ، وهي تملأ بصرها بوجهه ،

قائلة :

— أهوانت حقاً ١٩... يا إلهي !.. لقد كان قلبي على حق .

لم تكذبي مشاعري أبداً أنت على قيد الحياة

انضم في حنان ، قائلاً :

— لم يحس موعد طرائفنا بعد يا عزيزي .

انهمرت الدموع من عيني الأم ، وهي تراقب ذلك

المشهد ، وقالت تحاول إخفاء ضعف أمومتها الغريزية :

— لا ريب أنك تحتاج إلى لدح من القهوة يا سيد

( أدهم ) .

أجابها ( أدهم ) مجسماً :

— إتنى أكون إليه بالعمل .

أسرعت الأم تغادر الحجر ، متعللة بأعداد القهرة ، في حين همست ( منى ) في معادة .

— أين كنت ؟ أين اختفيت طيلة عام وربع العام ؟ غمغم .

— إنها قصة طويلة  
هضت في غفلة .

— أين ذهبت بعد انفجار وكر ( بانكو ) ؟

لولا كملها في رفق ، وبهش معجها إلى نافذة الحجر ، وراح يتطلع منها إلى قطرات المطر ، التي تصاقط على الزجاج ، قبل أن يقول .

— إنني لم أفارق ( المسكينيك ) يا ( منى ) .  
هضت في دهشة :

— هيجاً .. لقد بحثت عنك رجالاً في كل خبر من ....  
قاطعها :

— كنت في بلدة صغيرة ، بالقرب من ( كيووا ) .  
حذقت فيه لحظة في دهشة ، ثم قالت :  
— وماذا كنت تفعل هناك ؟  
نهذه قائلاً :

— ألم أقل لك إنها قصة طويلة ؟

ران عليهما الصمت لحظات ، راحت هي خالفاً تأملته في هيام وسعادة ، حتى وقعت عينها على أصابع يده اليسرى ، فارتجف قلبها ، وتجمدت مشاعرها كلها ، وبدأ صوتها بارتجافه أخيه عتقاب كهربي يهترق حائطاً من الحرسنة لسلحة ، وهي تقول

— ( أدهم ) ! هذه النبلة في إصبعك ١٢ .

بدأ لها صوته نفعمًا بالأسف ، وهو يقول :

— لقد تزوجت

هبط عليها الحير كالصاعقة ، واتسعت عينها في دُخُول ، وهي تقول في مرارة قاتلة :

— تزوجت ١٢ . تزوجت من ١٢ .

احترق الجواب قلبها كخشب من نار ، عندما قال في مرارة

— تزوجت ( موليا ) . ( سوبيا جراهام )

\*\*\*

مهلاً عزيزي القارئ ..

لا ريب أن كل هذا قد أربكتك ..

ولكن المثل يقول : « يقول العجب ، إذا ما عرفت السبب » ..



راى عليهما الصمت حطاط ، وحيث هى خلافا تامله لى هيام  
وسعادة حتى وقت عيناها على اصابع يده البرى

والسب يعود إلى فترة سابقة ..

إلى عام وربع العام من الماضي

إلى تلك اللحظة التى أفلتت فيها المليونير التى تقل

( منى ) من وكر ( بانسو سيلازر ) لى صحراء

المكث ٥٢

فلما نزل إلى تلك اللحظة ..

ولمحت عن السب من البداية ..

\*\*\*

( ٥ ) راجع قصة ( وكر الإزهاب ) المفاخرة رقم ( ٨٠ )

## ٤ — انفجار ..

كانت لحظة قاسية عيفة ..

كان الرمح يضيء في سرعة ، نحو موعد انفجار ذلك الليل ،  
الذي انقذه ( بانشو سيلازر ) وكّرأ له ، وكانت المليون كويتر  
تبتعد بـ ( مى ) والفر المصرى ، و ( بانشو ) يصرخ في  
جُثون أطار عقله :

— لا فائدة أيها الشيطان المصرى . لقد انتهى كل شيء ..

سموت مقاً .

تطلع ( أدهم ) إلى المليون كويتر ، التي تبتعد في سرعة ، ثم  
جذب إليه ( بانشو ) في قوة ، وقال في صرامة .

— اسمع أيها الوغد أمثالك لا يقطون أنفسهم بهذه

البساطة . هناك مخرج من هذا حتماً

أطلق ( بانشو ) ضحكة جُتوية ، وهتف

— ليس المهم هو اختراق أيها الشيطان ، وإنما الوقت الكافي

للموصل إليه .. ولم يقد لذلك هذا الوقت

القي ( أدهم ) نظرة على ساعة التوقيت ، وأحصى الثواني

الباقية على الانفجار ، ثم جذب ( بانشو ) ، وانطلق يعلو به  
مبعداً ، وهو يقول :

— ابدل أقصى جهدك لتذكر إذن أيها الوغد ..

هتف ( بانشو ) :

— لا وقت .. لا .. فائدة .

نوى ( أدهم ) ذراعه في غف ، وهو يقول في قوة :

— سأذهبك العذاب إذن في الثواني الباقية

صرخ ( بانشو ) في ألم :

— لا . لا . هناك مخرج سرى واحد ، خلف مكبي

الحاصر ، ولكنك لن تبلغه أبداً .. الوقت البالي لن .

دفعه ( أدهم ) بعيداً ، وانطلق يعلو بسرعة خرافية نحو

مكب ( بانشو ) ..

ومضت الثواني في سرعة مذهلة .

وبلغ ( أدهم ) المكب ، و ..

ودوى الانفجار ..

ومع التصاعق الناشئ ، اندفع جسد ( أدهم ) إلى الأمام ،

وارتطم بمحاجر خشبي ، يصعب تمييزه عن حائط المكب ،

وشعر بالآلام في أضلاعه ، عندما اخترق جسده ذلك الحاجز



الحشنى ، وسقط مدحرجا فوق سلام طويلة طويلة ..  
وأطنان من الأثرية تتساقط على المدخل ، وتهمر خلفه على  
السلام ..

لم ارتطم جسد ( أدهم ) بالأرض في قوة  
وهوت الأثرية والصخور قوله .

وبطريقة بقاء عرافية ، من رجل تجهل غلاياه مائتيه كلمة  
الاستسلام ، وراح ( أدهم ) يمشى طريقه وسط الأثرية والغيار ،  
ويهادى الصخور الساقطة ، ويعد ، ويعد ، وسط ظلام  
مُطبّق ، ورائحة خالقة ..

لم لاحظت بقعة ضوء من بعيد . بعد ساعة كاملة من الشئ  
والصراع

وانته ( أدهم ) بكل ما تبقى له من قوة نحو بقعة الضوء .  
وبدا له كل شيء وكأن السماء تُطبّق عليه  
وراح يحفر عند بقعة الضوء في إصرار ..  
ولجأ ، غمره ضوء الشمس .  
ودفع جسده في قرة إلى أعلى ..  
إلى بقعة مظفرة من قلب صحراء ( المكسيك )  
وهنا ..

هنا فقط انهارت غلاياه ..  
وسقط البطل

\*\*\*

«إنه ليدعشنى حقاً أنه ما يزال على قيد الحياة .»  
كانت تلك العبارة هي أول ما تسلسل إلى عقل ( أدهم ) ،  
وهو سعيد وحيد ..

ولقد فهمها على الفور ..  
كانت العبارة باللغة الأسبانية ، ولم يجد صعوبة في فهمها  
وتحيزها ، وإن خافه فحور عجب بأن هذه اللغة ليست له  
الأصلية ، ففتح عينه ، ونظّح إلى وجه كهل أشيب الشعر  
واللحية والشارب ، ينحني عليه في اهتمام ، ويخضع للأسبانية :  
— من أنا ؟ وماذا أفعل هنا ؟

لم يكن في سؤاله أى نوع من القرينة أو المواربة ..  
لقد كان مجهول حقاً من هو ..  
الانفجار والصدمة لم يمرّ بلا أثر .  
لقد حطماً ثلاثة من أضلاعه ، وأصاباه بكمية ضخمة من  
الرضوض والسحجات .  
وأفقداه ذاكرته ..



وفي حيرة راح يتطلع إلى الكهل الأشيب ، وإلى تلك أسمراء الفتاة ،  
ذات الشعر الأسود الناعم الطويل

نعم .

لقد فقد ( رجل المستحيل ) ذاكرته تمامًا .

لم يعد يذكر من هو ، ولا إلى أية دولة ينتمي .

لم يعد يذكر حتى ما أصابه ..

لقد تحولت ذاكرته إلى صفحة بيضاء تمامًا

وأصبح هو رجلًا بلا ماضي ..

وفي حيرة راح يتطلع إلى الكهل الأشيب ، وإلى تلك

الأسمراء الفتاة ، ذات الشعر الأسود الناعم الطويل ،

والرموش الراتمة ، التي راحت ترمو إليه مشقة ، وكثر

سؤاله

— أين أنا ؟ ومن أنا ؟

ابسم الكهل ، فأنشأ :

— أنت هنا في منزلي المراضع . أنا ( برونكو بولا ) ،

معلم من قديم بالجيش المكسيكي لعشر حطك ، ومراوح حاليًا .

أمتلك مررعة صغيرة ، وهذه ابنتي ( ماريانا ) ، وهي كئي

ما تبقى من أسرق ، أما من أنت ، فهذا ما أجهله تمامًا ، فلقد

عرفنا عليك ، ابنتي وأنا ، فاقد الوعي ، معطم الأصلاخ في

الصحراء ، فحملناك إلى هنا في ( كيوأوا ) ، واستخدمت أنا

خبرني الموصعة لمدواتك ، ولكك لم تكن لسحو من كل  
إصابائك ، لولا قوة بتيك .

عاد ( أدهم ) يكرّر في حيرة :

— ولكن من أنا ؟

هز ( برونكو ) كتليه ، لائلًا :

— الله وأنت وحدكما يككما إجابة هذا الزان يا ولدي

قال ( أدهم ) في ضيق .

— ولكنني لا أذكر شيئًا البتة ذاكر في يضاء تمامًا

سأله ( برونكو ) في اهتمام

— ألا تذكر حتى أشياء متفرقة ؟

هز ( أدهم ) رأسه نفيا ، وهو يقول في مرارة

— مطلقًا

لنهد ( برونكو ) في أسف ، وقال

— لا ريب في أنك قد تعرّضت إلى صدمة قاسية ، أفقدت

الذاكرة ، والله وحده يعلم متى تستردّها

اندفعت ( ماريانا ) بخته تقول :

— ولكك أنت مكسبًا ..

حدّق ( أدهم ) في وجهها بدهشة ، في حين عقد والدها

حاجبيه ، لائلًا

— ما الذي يدعوك إلى قول هذا ؟

أربكت وهي تتطّلع إلى ( أدهم ) ، وقالت .

— إنه لا يتحدث الأسبانية بلهجة مكسيكية سليمة تمامًا ،

ثم إنه أبيض البشرة ، وطويل القامة ، و .

فاطمها والدها :

— أي فراء هذا ؟

أسرع ( أدهم ) يقول :

— ربما هي على حق يا سيدي ، لمصحح أنني التحدث

الأسبانية ، ولكن شيئًا ما في أصمالي يؤكد لي أنها ليست لغتي .

هل تدرك ذلك ؟

ازداد انطداد حاجتي ( برونكو ) ، وهو يفهم .

— بالتأكيد .

ثم اعدل مستطردًا :

— على أية حال ، إنني سعي لكشف هويّتك الآن ،

فصدا عفرنا عليك منذ يومين ، لم تكن تحمل أوراقًا ، أو .. .

فاطمه ( أدهم ) في دهشة :

— منذ يومين ؟ . هل أنا فاقد الوعي منذ يومين كاملين ؟

اجتمع ( برونكو ) ابتسامة باهية ، وهو يفهم .

— على الأقل .

ثم اعتدل متأقفاً للتصريف ، وهو يسرود

— سأتركك الآن لتسرع ، وسعد لك ( ماريانا ) ووجه

ساحرة ، عليك أن تبذل أقصى جهدك لتسرد قواك في أسرع

وقت .

قالا وانهم ابتسامة أخرى باهجة ، قبل أن يغادر المكان ،

ويغلق الباب خلفه في هدوء ، فابتسمت ( ماريانا ) لـ ( أدهم )

في تعاطف ، ورثت على كفه ، قائلة في حنان :

— اطمئن .. ستشفى .

منحها الفضل ابتسامة استطاع رسمها على شفه ، وهو

يتعمق :

— أشكرك .

ثم استرخى في فراشه ، وترك لأفكاره العنان

من هو ؟ ..

من شعبه ؟ ..

إلى أي جنس ينتمي ؟ ..

يدت له كل هذه الأسئلة مُحيرة عجيبة ، وهو يعتصر دهنه

للبحث عن أجوبتها عينا ، ثم لم يلبث أن شعر بالإرهاق ، فقرر

الاستسلام للموقف مؤقتا ، حتى يسرد ذاكرته

أو يفقد طويته ..

إلى الأبد

\*\*\*

## ٥ — عاصفة في الأفق ..

أربعة أشهر مضت على تلك الواقعة . اسرذعيا ( أدهم )  
قوته وعافيته وحسن ذلك الاسم . الذي محبه إياه  
( برويكو ) اسم ( أميغو ) الذي يعنى ( الصديق )  
بأنفه الاسبابه . وأوته ( ماريانا ) كل عابها . ومنحه  
حباها .. أو فلنقل حبا ..

ولكن ( أدهم ) لم يظهر بكل هذا ..

لقد واصل رحله ابائسه لبحث عن نفسه  
لاستعادة ذاكرته .

للسعي خلف خويته .

ول كل يوم . كان ( أدهم ) يقضى نهاره في معاودة  
( برويكو ) لمروراته الصغيره . وعند غروب الشمس يتطلى  
جواده . ويطلق به إلى ذلك النهر . عند حافة المزرعة . فيجلس  
على شاطئه الصخري . يتأمل الغروب . ويدل أقصى جهده .  
لاستعادة ذاكرته

ول ذلك اليوم . لحقت به ( ماريانا )

ودون أن يبادلا كلمة واحدة . جلست إلى جواره صامته .  
وراحت تلتظط . لخصى الصغير . وتلقى به في النهر . ثم لم تلبث  
أن التفت إليه . عتمة :

— ( أميغو ) أما رلت تبحث عن ماضيك ؟

أجابها دون أن يحول عييه عن النهر

— الإنسان لا يستطيع محو ماضيه دفعة واحدة

يا ( ماريانا ) .

تأملت أمامها الرقيقة تداعب أحاسيه . وهي همس في

حب

— وماذا تريد من اناضى ؟ فليذهب إلى الجميع المهم

هو الحاضر والمستقبل .

أبعد كنه عن أمامها . وهو يقول

— لكل امرئ ما يورى .

ثم يهض مستطردا في حزم :

— هيا .. سنعود إلى المزرعة .

قالت مستعطفة :

— ولكن الوقت مازال مبكرا . و

قاطمها في لحظة امرأة . لا تقبل النقاش

— هنا

حينها في بساطه ، احسن ظهر حوادها ، ثم قمر هو في رفاقة  
بتطلى صهوة حواده . فعالت في مرارة  
— أنا قبيحة إلى هذا الحد ؟

اجابا في هدوء .

— بل أنت فائقة .

هطت بلهجة القرب إلى البكاء :

— لماذا إذن .... ؟

فاطعها في الحفوت

— نلت أدرى يا ( ماريان ) إسي أقدرك ، وأقدر جميل

والدك . ولكنني أشعر أن وجودي هنا أمر مؤقت ، وأحس

أن أستعيد ذاكرتي . فأخذني رجلا متروخا مثالا

قالت في حزن :

— وماذا لو لم تكن كذلك ؟

صمت فتيحة ، ثم اجاب :

— من يدري عندئذ يا ( ماريان ) ؟ من يدري ؟

كان هذا آخر ما تبادلاه من حديث ، طوال طريق العودة

إلى المزرعة ، ولم يكن المنزل يلوح هناك وسط المزرعة ، حتى عقد

( أدهم ) حاجبيه ، وهو يقول

— يبدو أن لدينا زوارا



ولم يكن الأمر — بلوح صاير في المزرعة ، حتى عقد أدهم ، حاجبيه ،

وهو يقول — يبدو أن لدينا زوارا



شحب وجه ( ماريانا ) ، ووصف يدها على صدرها ،  
وكأنها تكلم الرخافة فيها ، وهي تقول في خوف واضح .

— إنه سيور ( توماس ) ورجاله .

تطلع إلى خوفها في حيرة ، ثم عاد يلقي نظرة على ذلك  
البدن الضخم الجثة ، الذي يرتدى خُلَّةً أنيقة ، وقبعة عريضة  
الأطراف ، ويقف إلى جوار سيارة أمريكية فارغة ، تتوسط  
ساحة المزرعة ، وحوله أربعة رجال تندلئ مسدساتهم في  
أحمتها ، على طريقة رعاة البقر ، وأمامهم يقف ( برويكو )  
مرتبكاً متوترًا ، يتبادل الحديث مع البدن الضخم ، الذي  
يدلّس سيجاره في غطرسة واضحة ، فآل ( أدهم )  
( ماريانا ) في اهتمام :

— من ( توماس ) هذا ؟

ارتجف صوتها ، على بحر يشف عن خوفها ، وهي تحب  
— إنه مليونير أمريكي ، يتاع كل مزارع اسطفة تقريبًا ،

ويدعو أن تزر مزرعنا قد حان .

سأها ( أدهم ) :

— ولماذا يتاع كل المزارع ؟

هزت رأسها قائلة :

— لست أدري .

أدار عييه بين وجهها المدعور ، وبين ( توماس ) ورجاله ،  
ثم قال في هدوء :

— الأمر لا يستحق كل هذا القلق والخوف . فلو عرض  
( توماس ) هذا مبلغًا جيدًا ، يمكن لوالدك بيع مزرعته ، أما  
لو كان يرفض ذلك . فلي يمتكن ( توماس ) من  
قاطعته في ارتياح .

— يبدو أنك لم تسمع عن ( توماس ) هذا . ما دام قد قرّر  
الحصول على المزرعة ، فمما من وسيلة لنه من ذلك . لقد  
رفض جارنا ( بايلر ) بيع مزرعته ، وعازت عليه زوجته بعدها  
قبلاً إلى جوار البئر . وعجزت الشرطة عن إثبات التهمة عن  
أي مخلوق ، و ...

قاطعتها ( أدهم ) . وهو يتطلع إلى ( توماس ) بنظرة  
جيدة :

— آه !! هذا أسلوبه إذن .

وفي أعماقه تولدت فجأة غريزة قتالية شطة

أو أن دهنه قد امتلأها من دون ذاكرته

وفي هدوء وثقة . غير ( أدهم ) بجوده سور المزرعة

الحشيش . وخلفه ( ماريانا ) ، وتوقف إلى جوار سيارة  
( توماس ) ، وهبط من فوق صهوة جواده . قائلا  
— مساء الخير يا سيور ( برونكو ) يبدو أن لديك رواقا  
هنا

ارتبك ( برونكو ) ، وهو يقول :

— إله صيو ( توماس )

قال ( أدهم ) في برود :

— أهلا

عقد ( توماس ) حاجبيه ، وهو يقول لـ ( برونكو )

— من هذا الوقح ؟

أجابته ( برونكو ) في قلق :

— إنه ( أميجو ) مساعدى في المزرعة ، و

قاطعة ( توماس ) غاضبا :

— فُرّة بالترام الأدب .

قال ( أدهم ) في هدوء :

— وهل تجاوزته ؟

استحق وجه ( توماس ) غضبا ، وتعمّرت يد رجائه ، وهى

تنتحه نحو مقايض المسدّات ، فأسرع ( برونكو ) يقول

— زوّلدك يا ( أميجو ) ، لا تحدث إلى سيور ( توماس )  
هكذا .

شعر ( أدهم ) بلُحمر ( برونكو ) الشديد ، فراجع  
مقعدا في ضيق :

— لا بأس يا سيور ( برونكو ) لا بأس .

نعت ( توماس ) دُخان سيجاره في غف ، وهو يقول .

— هذا الخجل .

ثم التفت إلى ( برونكو ) ، مسطرذا في شجة رحل يكمل  
حديثا سابقا :

— هه . مارأيك يا ( برونكو ) سأدفع عشرة آلاف

بيرو ، مقابل مزرعتك هذه .

ارتبك ( برونكو ) ، وهو يقول :

— معذرة يا سيور ( توماس ) ، ولكن هذا المبلغ

لا يساوى نصف ثمن المنشآت

قال ( توماس ) في ضيق :

— فليكن سأدفع عشرين ألفا وهذا آخر رقم

قال ( برونكو ) في تولف بالغ :

— ولكنى لا أريد بيع المزرعة يا سيور ( توماس )

ابتسم (توماس) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول  
.. لا تريد ماذا ؟ ..

انطلق فجأة يلهفه صاحكًا ، وشاركه رحاله الأربعة  
صاحته . قبل أن يسمح فمه بكلمة على نحو مقرر ، ويقول  
— اسمع يا (بروكو) — إننى أريد هذه المزرعة ، وعندما  
يولد (توماس موران) شيئًا ، فإنه .

قاطعته (أدهم) بغضب فى صرامة .

— يبدو أنك تحتاج إلى طبيب جيد لتسلك أذيتك يا سيور  
(توماس) ، فانت لم تسمع سيور (بروكو) جيدًا . عندما  
أعلن أنه يرفض بيع مزرعته .

بدت تلك العبارة أشبه بلهجة ذؤوب فى أسماع الجميع ، وساد  
بعضها صمت رهيب . وخشب وجهها (بروكو)  
(و (ماريانا) ، واحطى وجه (توماس) . وارتسم الذؤول فى  
عيون ووجوه الجميع ، وقد صار (أدهم) فى لحظة واحدة قبلة  
أنظارهم ، فى حين وقف هو هادئًا ، ممشوق القوام ، يعقد  
ساعديه أمام صدره القوى ، ويطلع إلى (توماس) ورحاله فى  
ثبوت ، قبل أن يتفجر (توماس) صارخًا .

— هل جئت ؟

قال (أدهم) فى هدوء باردة كالثلج  
— ريثما والآن أخبرنى هل تفضل الرحيل مع رجالك  
فى مبارتك ، أم أنك تريد سيارة الإسعاف أكثر راحة ؟  
حدق الجميع مرة أخرى فى وجه (أدهم) فى الذؤول ،  
وغصفت (ماريانا) فى انفعال :  
— (أدهم) .. يا إلهى !!!  
وصرخ (توماس) وقد خنّ خنونه .  
— لقد تجاوز هذا المعنوية حدوده ، ويحتاج إلى درس قاسٍ  
بأرجال .

لم يكذبتم عبارته ، حتى صمّ الرجال الأربعة قبضاتهم ،  
واندهشوا اندفاعاً رجل واحد نحو (أدهم)  
وحالت لحظة الاختيار ..

\*\*\*



## ٦ - الرجل ..

صحيح أن ( أدهم صبرى ) كان فاقداً لذاكرته تماماً  
صحيح أنه لم يكن يعلم من هو ؟  
ما هو أبوه ؟  
أين وطنه ؟

ولكن في مثل تلك الظروف ، عندما يتعرض المرء لخطر  
ما ، فإن دُور الذاكرة هنا يتراجع ، وتبقى فقط الغريزة ..  
غريزة البقاء ..

وفي تلك اللحظة ، عندما بدأ الهجوم ، لم يكن ( أدهم  
صبرى ) يذكر أنه يعد أقوى رجل محارب في العالم ، باعتراف  
الأعداء قبل الأصدقاء ..

ولم يكن يذكر كم من المهارات يمتلك  
ولكنه كان يشهر بالقوة ..

عقله الباطن كان يعلم من هو ..

ولقد هاجم رجال ( توماس ) خصمهم الأعزل ، وهم  
يجهلون نفس ما يجهله هو ..

يجهلون أنه الرجل . الذى ارتجف لذكر اسمه عمالقة أركان العالم  
كله ..

( رجل المستحيل ) ..

ولقد ظل ( أدهم ) عاقداً ساعديه أمام صدره ، منتصباً إلى  
مهاجيه بنص النظرة الباردة الحاقية ، حتى صاروا على قيد  
خطوات منه ..

وفجأة ، استحال إلى عاصفة عاتية مدثرة

لقد انحنى بقعة ، متعادلاً لكمة الرجل الأول ، ثم انصب  
موجهاً لهذا الأخير لكمة كالقنبلة ، ارتد لها الرجل متراً كاملاً  
إلى الخلف ، وارتطم بالأرض كيرمل مبتل بالرمال ، في نفس  
اللحظة التي ارتفعت فيها قدم ( أدهم ) ، وركلت تلك الرجل  
الثاني ، ثم انطلقت قبضته الثانية تحطم تلك الثالث ، واشتركت  
كفأه في جذب الرابع إليه ، بدلاً من تفاديه ، ثم ارتفعت ركبته  
لنحو من معدة الرجل ، وتحللت كفأه عنه ، وهبطاً في سرعة  
فدھنة ، لتلتصق إحداهما مسدس الرجل ، وتدفعه الأخرى  
أرجحاً ..

وفي غضون لائتين لا غير ، وهما كل الزمى الذى استغرقه  
هذا القتال ، وجد ( توماس ) رجاله حوله ، ولقد ذاقوا أمر

هرجة في عمرهم كله ، والرجل الذي أرادوا تحطيمه بقف  
شامشا ، وانتقامه الساخرة غلا وجهه ، ومسدس أحد  
الرجال في قبضته ، يهزبه إلى الرجال وقائدهم ، قائلا .

— حسنا ! ماذا كنا نقول ؟

حذق ( توماس ) في وجهه في دُفول ، وامتلات أذناه  
بتأوهات رجاله ، وهم يهضون في ألم وصعوبة ، في حين تحب  
وجه ( برونكو ) ، وهو يتم غير مصدق مآرأته عنها

— أوه ! ( أميجو ) كيف فعلت هذا ؟ كيف ؟

أما ( ماريانا ) ، فقد تراجعت ذاهلة ، وراحت تنقل بصرها  
بين ( أدهم ) ورجال ( توماس ) ، قبل أن تهتف بصوت  
كافس :

— ( أميجو ) ؟ .

وفجأة ، انطلق صوت ( توماس ) كقبلة من الغضب ،

وهو يصرخ :

— كيف جرؤت ؟ .

قال ( أدهم ) بنفس الشخيرة :

— هل استدعى سيارة الإسعاف ؟

احتض وجه ( توماس ) في شدة ، وقال ساعطا .

— اسمع يا هذا ! إنني أعترف بقوتك ، وببراعتك

لرجائي . ولكن ينبغي أن تعلم مع من تتعامل ! إنني

( توماس ) ( توماس موران ) ، هؤلاء الرجال الأربعة

الذين حطمت فكوكهم ليسوا سوى ذرة في جيش رجائي ، ولقد

حطمت من هم أقوى منك من قبل . ولعلم أنني لم أخل بعد

عن وعتي في هذه القرعة .

ثم رفع قدمه ، وصرب بها الأرض في قوة ، مستطرذا في

ثورة :

— عندما بظاً ( توماس موران ) أرضاً بحدائه ، فإنه يحصل

عليها ، مهما كان الثمن .

انعقد حاجبا ( أدهم ) في صرامة مخفية ، وهو يقول بلهجة

آمرة ، وصوت يكفى لتجميد الدماء في العروق

— اطلع حذائك .

حذق الخمخ في وجهه في دُفول ، وارتجف صوت

( برونكو ) ، وهو يقول :

— ( أميجو ) .. لا تناد .

وبرقت عينا ( ماريانا ) ، وهي تتابع ما يحدث ، في مرج

عجيب من الشغف والخوف ، في حين هتف ( توماس )

ذاهلا :

— هل جئنت ؟

جذب ( أدهم ) إبرة مئذنه في صرامة تشق عن جذبة أمره ، وهو يكرّر بنفس اللهجة الآمرة الرهيبة — اخلع حذاءك أيها الوغد .

تولّر رجال ( توماس ) في شدة ، فأصاف ( أدهم ) :

— وسأطلق النار على آخر من يحتفظ بمئذنه منكم .

أسرع الرجال يلقون مئذاتهم أرضاً ، في دعر واضح ، وقد أنباهم تلك الآلام ، التي غلأ موضع لكحات ( أدهم ) ، أنه ليس من الحكمة في شيء عدم إطاعة أوامره ، في حين التفت ( توماس ) إلى ( برويكو ) ، وألقى سيجاره أرضاً في غنى ، وهو يهزخ :

— هل أصيب مساعدك هذا بالجنون ؟

انطلقت بغلة رصاصة من مئذس ( أدهم ) ، أصابت الأرض بين قدمي ( توماس ) تماماً ، فقفز هذا الأخير في دعر ، وحذى في وجه ( أدهم ) ، الذي كثر

— اخلع حذاءك ، أو يظهر طبيك الخاص لانتراعه من قدمك ، قبل يترها .

ثم أصاف في لحظة جددت الكلمات في خلوق الجميع



انضمت بغلة رصاصة من مئذس أدهم ، أصابت الأرض بين قدمي ( توماس ) تماماً . فقفز هذا الأخير في دعر



— وهذا الأمر يشمل الجميع .

أسرع رجال ( توماس ) الأربعة يملعون أخذيتهم . ونهجم هذا الأخير في حلق ، وقد شخب وجه ( برويكو ) ، حتى كاد يهاكمي وجوه امرئ ، دون أن ينس بيت شفة ، ومنتف ( توماس ) ، وهو يلوح في وجه ( أدهم ) بسبائه في غضب .  
— استدفع ثمن هذا غالياً .

تجاهل ( أدهم ) العارة غاماً ، وهو يقول في مرود .  
— استمعت أيها البدين . سركني بقدميك العاريتين طويلاً ، حتى تبلغ منزلتك .  
هتف ( توماس ) ، وقد صار وجهه في لون الدم ، من شدة احتفائه .

— لن أخطئ لحظة واحدة بدون السيارة .  
وفي تروود متاه ، أطلق ( أدهم ) رصاصات مسدسه نحو خزان وقود السيارة ، وميزدانية ها ، وسال الوقود ، واحتلط بالماء ، وهو يقول في شخيرة :  
— لقد تلفت السيارة .

مال أحد الرجال على أذن ( توماس ) ، وهمس مرتبكا متولرا :

— من الواضح يا سيدي أنه يتميز بالعناد الشديد ، و ..  
صرخ ( توماس ) :

— اخبرني .

انقسم ( أدهم ) في شخيرة ، وهو يقول .

— أمر طريف .

ثم اكتمت ملاحه بصرامة عجيفة صاخطة ، وهو يستطرد .  
— والآل فليبدأ الجميع الركض ، وسأقتل من أحده داخل

حدود المزرعة ، بعد عشر دقائق من الآن . هيا .  
توژد الرجال ، وهم يتطعمون إلى ( توماس ) ، الذي قال في غضب هادر :

— مستخدم أشد الندم على تبجحك هذا .

رفع ( أدهم ) مسدسه ، وأطلق رصاصة في الهواء ، صاخبا .  
— هيا .

انطلق الجميع يهذون في زعب ، وبلغ لاث ( توماس ) أذان ( أدهم ) و ( برويكو ) و ( ماريانا ) ، وهو يجاهد للنجاح برجاله ، على الرغم من بداقته ، فأطلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة ، والبت إلى ( برويكو ) ، قائلاً :

— أهذا هو (توماس) الرّهب ؟

واحدة وجه (برونكو) الشاحب ، وهو يقول في انبساط

— ماذا فعلت أيها النّفس ؟

هزّ (أدهم) كتفيه في عدوّه ، وهو يقول

— وماذا فعلت ؟ لقد نفّست وغذا ما يستحقه من درس

لروح (برونكو) بكفّه ، معتمداً .

— لقد حطّمت كل شيء .

أسرعت إليه (ماريانا) ، هائلة في لوعة

— ألى .

استند الكهل إليها ، وهو يستطرد في مرارة

— لقد أشعلت غضب (توماس) ، ولم يقدّ لديها سوى

الرحيل .

عقد (أدهم) حاجبه في صرامة ، وهو يقول

— لا يا منيور (برونكو) صحيح أسى أجهل خوئي ،

ولكنني لم أكن لأفارق وطني أبداً يا زدي ، فإزاً من وجه

أعدائي إني أفضل الموت وأنا أدود عنه

صرخ (برونكو) :

— فلتحفظ بهذا لنفسك .

ثم أضاف في نفس وجزع .

— إنك لا تعلم من هو (توماس) . إنه أقوى رجل في

(كواوا) كلها . إنه يملك كل شيء ، حتى سمائر القضاة

ورجال الشرطة ، وأنت لم تكف بهعديه فحسب ، بل عملت

على إدلاله وتحقيره ، و (توماس) ليس من يظفرون هذا .

سترى كيف سينقلب العالم كله على رأسك غداً ، بالإصافة إلى

ما ستواجهه على يد جيش (توماس) الجرار .

أجابه (أدهم) في هتوة :

— لا يملكك الأمر . لن يحصل (توماس) على شيء

واحد من مزرعتك .

هتف به (برونكو) ساخطاً :

— أتتق بعصك إلى هذا الحق ؟

أصاب السؤال نفس (أدهم) بحيرة بالغة

لقد فجر ذلك الصراع القصير شيئاً ما لي أعماقه .

لقد أبرز قوته وجبرأته ..

شيء ما في نفسه يقول إنه يملك قدرات هائلة .

ولكنه لا يدرك هذا ..

والعجيب أنه — إزاء هذا التحدي — لم يكن يشعر

بالخوف ، بل بتوع من التثؤنة ..

بشوة مقاتل عاد إلى حلبة الصراع

وفي هدوء ، أحاب

— قلت لك اطمئن

لوح ( برونكو ) بدراعه كلها ، صائحا

— لا .. لم احتمل مجرد انقراطية .

ثم أضاف في حرم

— سرحل .

قال ( أدهم ) في حرم

— لا .. سأرحل أنا ، وثيل أنت وابنتك في أرككما

أطلقت ( ماريانا ) شهقه قصيرة ، شفت عن لوعتها ، في

حين حدق ( برونكو ) في وجه ( أدهم ) لحظة ، ثم لوح بكفه ،

قائلا :

— لا فائدة .. أسلويك مع ( توماس ) سيؤجج رغبته في

الحصول على موريتي ، ورحيلك سيهيء بالخون ، ولم يبدأ

قبل أن يريق دمي ودم ( ماريانا ) على الأقل

زاد عليهما الصمت طويلا ، ثم أطلقت ( ماريانا ) شهقه

دُغر ، وهي تشير إلى حدود المزرعة ، صارخة

— آه .. ( أميجو ) .. انتظرا .

أدار الاثنان عيونهما إلى حيث صرخت ، وشهق والدها  
بدورها في زعج ، وهتف في ارباع :

— فلتزحما رب السحوات

أما ( أدهم ) ، فقد انعقد حاجباه في شدة .

لقد كانت هناك أنوار قافلة من عشر سيارات تقترب في

سرعة من مزرعة ( برونكو )

وكان من الواضح أن ( توماس موران ) لم يحتمل الانتظار

للقد

لقد حشد جيشه ، وقرر بدء هجومه على الفور .

وعلى الرغم من دفقة الموقف ، التفت ( أدهم ) إلى

( برونكو ) و ( ماريانا ) ، وقال في هدوء حارم

— ابتعدا عن هنا . اذهبا إلى البئر ، واحتضيا داخله

هتف ( برونكو ) في انبساط :

— لا فائدة .. لقد انتهى كل شيء .

صاح به ( أدهم ) في صرامة :

— قلت اذهبا

ارتجف صوت ( ماريانا ) ، وهي تقول

— تعال معا

قال وهو يجمع السمات الثلاثة الأخرى ، ويوجه نحو  
جواده :

— اذهب .

عاولت والذها على المضي معها نحو الير ، في حين اغتل  
( أدهم ) صهوة الجواد ، وعناه تراقبان قافلة السيارات في  
صرامة رجل يدرسه جيلا معنى أن يقاتل وحده .  
وأن يكون خصمه جيشا كاملا

\*\*\*



## ٧ — .. والمستحيل ..

حطمت قافلة السيارات سور المزرعة الخشبي ، وانطلقت  
عمرس المزروعات بإطارها ، وعلى منها أربعون رجلا  
سلحون بالمدافع الآلية ، وعلى رأسهم ( توماس موران ) ،  
الذي يلوح بقبضته ، صارلحا :

— سيدعمون انفس أريدهم جيما أحياء ، وخاصة ذلك  
الحقير ( أميجو ) . سأجعله يعلو فوق حجر مشعل . أقسم  
أن الفعل .

أحاطت السيارات العشر بمرور المزرعة الخشبي ، وصرخ  
( توماس ) :

— اسرعوا جيما اسلموا أو أطلق النار .

جأبه صمت تام ، جعل أحد رجاله يقول في حذر .

— يبدو أنهم قد غادروا المكان يامسدي

صرخ ( توماس ) في غضب :

— مستحيل ! لابد أن أقتلهم جميعا

ثم أشار إلى المنزل ، هاتفا :

— اتجمعوا المكان ..

انقص رجاله على القمل الحشوي ، وراحوا يعطرونه  
برحاصاتهم ، وهم يطلقون صرخات هجينة وحشية غريبة .  
جملت ( برويكو ) بتثيت بابتة في فرار البئر ، وهو ينفث  
بصوت خافت :

— بهم يدمرون كل شيء كل شيء

أمسكت ابنته كفيه ، وهي تقول بصوت مرتجف

— فليرهب كل شيء إلى الخيم يا أباي إنا ندفع نحن  
حياتنا .

أشار إلى أعلى ، هائفا :

— وماذا عن حياة ( أميجو ) ؟

تحقق قلبها في لؤعة ، مع ذكر الاسم ، وترقرقت في عينيها  
دمعة ، وهي تقول :

— فلتنحفظه السماء

وفي نصير اللحظة ، كان رجال ( توماس ) قد انتهبوا من  
لتيش القمل ، وخرجوا إلى قائدهم ، يقولون .

— لا أحد بالداخل أيها الزعيم .

صاح ( توماس ) غاضبا .

— أين ذهبوا ؟ انطلقوا للبحث عنهم فحشوا كل شبر  
في هذه المزرعة اللعينة أريدكم أحياء بأي شيء  
هم الرجال بالانطلاق في كل مكان ، لتفتش المكان . لولا  
أن أمطرت السماء فجأة ..

لم تخطر ماء ، كما تفعل دوما . وإنما أمطرت وقرذا  
شلال من البرق اسهم فوق كل الرؤوس ، من سطح القمل  
الحشوي ، وغمر الجميع ..

وفي سرعة وغضب ، اسدأت كل الرؤوس إلى سطح  
القمل ، وارتفعت كل فوهات المدافع الآلية نحوه .

وهناك كان يقف ( أدهم صري ) هادئا ، مستظلا ، وإن  
حواره برمبل صخيم ، مرؤد بمصخة الري ، ويعمل على حانبه  
كلمة ( بنزين ) بحروف أسيانية ..

وصرخ ( توماس ) :

— أطلقوا النار ..

ولكن أحدا من رجاله لم يطع أمره هذه المرة  
لقد نسفرت عيونهم خيفا يد ( أدهم ) الصري ، التي  
عسك عثعل تناثج فيه النيران ، وهو يقول في سخرية  
— أحقا ؟ لقد أدرك رجالك ما لم يدركه غياؤك أيها

الأمريكي . أدركوا أن اليزين الذي غمرهم به مادة سريعة الاشتعال ، وأنهم عندما يطلقون رصاصاتهم على جسدى سأسقط صريحا ، ويسقط معي ذلك المشعل ، فتحوّلون جيّفا إلى شعلة من النيران في لمح البصر

احتضى وجه ( توماس ) غصبا ، وهتم  
— يا للشيطان !!

ابتسم ( أدهم ) في شخيرة ، وهو يقول  
— هيا يا جيش الأبد . ألقوا مسلحتكم ، وإلا ألقيت أما مشعل .

وبكل الحق والغبص والسخط ، ألقى أربعون رجلا أسلحتهم أرضا ، أمام رجل واحد ، وصرخ ( توماس ) :  
— إنك لن تنجو إلى الأبد  
أجابه ( أدهم ) بهبارة آمرة :

— هيا أيها الوغد . اتبع حذائك ، وليلعل الجميع أحذيتهم

ضخّب وجه ( توماس ) ، وهو يتف  
— لا . ليس مرّة ثانية

أطلق ( أدهم ) ضحكة قصيرة ، وهو يقول

— ولم لا . إننى أهوى جمع الأحذية هيا

أطاعه الجميع في حق شديد ، وألقى ( توماس ) حذاءه في غص ، وهو يقول غاصبا :

— في المرّة القادمة لن نهد الوقت الكافى لتطلق مثل هذه العبارة .

أجابه ( أدهم ) :

— ولى المرّة القادمة لن أكتفى بخلع حذائك ، وإنما سأعيدك إلى صرلك عاريا كما ولدت أمك  
عصر ( توماس ) شفته فمها ، وهو يقول  
— أيها الوغد

صاح ( أدهم )

— والآه هيا . سيبدأ السباق ، وسأطلق النار على أبطأ الجميع عدوا

أطلق الجميع ينفذون خفاة الأقدام ، فوق حصى المزرعة ، وأحواكها ، وهو يشبههم بصحركاته الساحرة ، ثم لم يلبث أن أطفأ مشعله . وفهر من سطح المنزل . وانغم في هدوء نحو البحر ، وانحنى يقول

— يمكنكما الصعود ، لقد انسحب الجيش . وأحببنا غلثك ما يكفي لافتتاح متجر للأحذية المستعملة





ووقفت ابى حواء صامحة تنأمله فى اعجاب ، فى حين تلقى  
والدها الخبل

ثم وادح يعاود ( ماريانا ) على الصعود ، ووقفت ابى حواء  
صامحة ، تنأمله فى إعجاب ، فى حين تلقى والدها الخبل ، وهو  
يقول فى يأس :

— إننى أعترف لك بالجرأة والمهارة ، ولكن كل ما تقصد  
يزيد الثيران تأججاً فحسب .

قال ( أدهم ) فى هدوء

— لقد انفتحت أبواب الجحيم ، ولن تغلقها إلا النصر  
أو الموت .

هتف ( برونكو ) ، وهو يشير إليه :

— أنت تفتحها على مصراعها .

أجابته ( أدهم ) فى حزم :

— وأنا سأغلقها .

قهرت الكلمة التالية إلى لسانه بتفانية

— بلأذن الله ( سبحانه وتعالى ) .

تطلع إليه ( برونكو ) و ( ماريانا ) فى دهشة ، ثم أذبح

( برونكو ) برأسه ، مغمضاً .

— صدقت ( ماريانا ) أنت لست مكسيكياً ، فاحس

لاستخدام هذا المصطلح أبداً

تهد (أدهم) في عمق ، وقال :

— سأدخل البحث عن حقيقة فوقتي لما بعد ، أما الآن  
فندع محتاج إلى يوم عميق ، حتى نكسنا مواجعه ماسمعله  
(توماس) هذا في القدر .

حذق (برويكر) في وجهه بذقون ، متمتعا -

— يوم عميق ١٩ هل سيمكك اليوم ؟

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول في بساطة  
— ولم لا ؟

لقد استعادت غريته طبعها . قل أن يصيد ذاكرته

لقد ادركت أعماقه أنه رجل من نوع خاص ، قادر على

مواجهة العمالققة وتحطيم أنف الخطر

أدركت أنه (رجل المستحيل) ..

\*\*\*

١ مستحيل ٢ مستحيل ٣ مستحيل ٤

صرخ (توماس) بكثرة العبارات الثلاث في منحنى غضب

بالعين ، وهو يضرب سطح مكتبه بقضبه ، على حين ترك قدميه

لطيفة الخاص ، يتسند حراجهما وكدماتهما ، من أثر العذو على

الصخور بلا حياء ، وقال محمية ، وهو يتطلع إليه في حديق

— كان ينبغي أن تستشير أولاً يا سيور (توماس) ، قبل

أن تنطلق بكل رجالك خلف ذلك الرجل

صرخ (توماس) :

— أنتشرك أنت ١٩ وماذا تفهم أنت في شئون

القانون ١٩ إنك رجل قانون فحسب ، كل عملك ها هو أن

تطعني عن ثمرات القانون ، وكيفية التماذ عنها بلا عسائر ،

أما القتال فهو عملي أنا

عقد انخامي حاحيه في غضب ، وهو يقول

— ومن الواضح أنك تجيد عملك

احتض وجه (توماس) ، وهو يصرخ

— هل تسخر مني ؟

لوح انخامي بلراعه ، قائلاً :

— لا ولكنني أنشد أسلوبك الأهرج هذا ، فلقد كانت

هاك عشرات الوسائل ليس ذلك الرجل قانونياً ، ولكنك تقاد

لغصبت ، وترتكب مع رجالك ما كان كميلاً بريقاعكم تحت

طائلة القانون .

صاح (توماس) :

— أي قانون ١٩ أسيبت أن رئيس الشرطة ها يقضي

منى راتب صحفًا ، مقابل التعاضد عن أية أخطاء قانونية ؟  
وأنا قد اشترينا قاصدين ، و .....  
قاطعنا الخامس في صرامة .  
— ولكنك لم تنجح في شراء احكامك أو وكيل النيابة .  
فلاتس هذا .

صرخ ( توماس ) هادرا :  
— سمعنيها خامي ، اسي لا أدفع لك ذلك الأجرال عظ ،  
نتمتع عقبة في سبيل المفروض ان أفل ما يملو لي . ثم تسمى  
انت لتقنيه

هتف الخامس غاضبا .  
— انت تعكس الأمور ياسيور ( توماس )  
صرخ ( توماس ) :  
— وأنت تريدنا تعقيدا .  
بعض الطيب قائلا :

— اهذا ياسيور ( توماس ) لقد انتهت من تصيد  
قدميك ، ولكن عصيتك الرائدة هذه ستعثر شريكك .  
حاصلة وأنت تعاني ضغط الدم المرتفع  
انصت إليه ( توماس ) ، فانتلا في حدة -

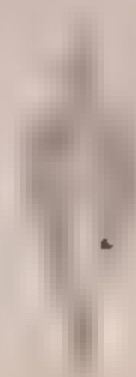
ألم تنه من عمتك ؟ . هيا . انصرف إدد  
مط الطيب شعبه في استكار ، وقال وهو يجمع أدواته  
— لقد أصبحت شخصا لا يطاق ياسيور ( توماس )  
صرخ فيه ( توماس ) ، وهو يقادر الحجره .  
— انذهب إلى الجحيم .  
ثم الطقت إلى محاميه ، مسطرذا :  
— والآن أنت بك وسيلة قانونية . لتعظيم هذا الرجل ؟  
ابسم الخامس ، وقد لاح له انتصار أسلوه ، وقال  
— هناك عشرات الوسائل للتخلص منه يمكنك أن تفهمه  
مثلا بإتلاف سيارتك عمدا ، أو بسرقتها ، وسندفع  
( حوريه ) لإلقاء القبض عليه بهذه التهمة ، وبعدها .  
فرقع إيهامه ووسطاه ، وهو يتسم ابتسامة خبيثة ، تحيل إليه  
أيا تحمل المصى المقصود ، ولكن ( توماس ) سأله في عصبية  
— وبعدها ماذا ؟  
صايقه أن ( توماس ) لم يفهم مغرى الحركة . فقال في  
خفوت

— سيؤلى ( حوريه ) أمره في السجن

برقت عينا ( توماس ) في شراسته ، وأسرع يشعل سيجاره  
في الفعال ، وهو يقول :

— فهمت متوقع به في ياد ( جوزيه ) ، وهناك ، عندما  
يصبح خلف القضبان ، يتولى ( جوزيه ) أمره ، و  
نفت ذنجان سيجاره في قوة ، وتألفت عياه جدلاً ، وهو  
يعتف في حناي :  
— ويقتله .

\*\*\*



## ٨ — القانون ..

على الرغم من صعوبة الموقف ، الذي تواجهه المزرعة ،  
وعلى الرغم من أن ( بروسكو ) وابنته لم يعضضهما حتى طيلة  
الليل ، إلا أن ( أدهم ) استغرق في نوم عميق أدهشهما ، حتى  
أن ( بروسكو ) سأل ابنته في حيرة ، عندما عادت من باب  
حجرة ( أدهم ) ، على أطراف أصابعها  
— أما يزال نالقا ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وابتمت ابتسامة حانية ، وهي  
تقول :

— وعلى شفتيه ابتسامة .

كُرِّر في ذهنة .

— ابتسامة ؟

ثم هز رأسه معتمناً :

— صاحب هذا الرجل ١١ يواجه جيشاً من القنلة ، الذين  
لا يجوز غزو عن إراقة دماء القديسين أنفسهم ، مقابل حصة من  
الدولارات ، وشيطان أمريكي محب ، لم يجمع شخص وقف

في طريقه قطُّ وعمل الرعم من ذلك ، يجد في أعصابه ما يكفى  
لنحه يوما عجميا ، في ظل كل هذه الظروف ، إنه إما شجاع  
شجاعة الأسود ، أو أحمق تماما  
اسم ماريانا ، وهي تطلع إلى حجرة ( ادهم )  
قائلة

— إنه لا يبدو في أحسن .

يطلع أبي ولدها خطه ، ثم عاد يفض عبه ، ممم

— بالتأكيد .. بالتأكيد

وفي نفس اللحظة كان ( ادهم ) عارفا في النوم

لقد استعاد حروا من نفسه

استعاد طبيعته المقاتلة العبيدة

إنه الآن يدرك أنه ولد مقاتلا

وأنه عاش كذلك

وفي تلك الليلة ، كانت أحلامه كلها تعبر عن لغوة  
والباس .

رأى نفسه مقاتل وسط أحراش وفي زمان الصحارى ،

وعلى الكسج ..

رأى نفسه يقود طائرات وغواصات ..

واحتشدت أحلامه تحت الوجوه ، التي لا يذكر أسماء  
أصحابها قطُّ .

ثم تلاشت الوجوه كلها ، وبقي منها وجه واحد ، من  
شعاف قلبه ..

فاجتم

وتلاشى ذلك الوجه بتؤرره ..

وتلاشت الأحلام كلها .

ثم استيقظ حظه بغلة ..

استيقظ على صوت حاف ، لم يشه إليه ( برونكو )

وابته ، اللذان لم يسمعهما جفن ..

ولم تكذب أد ( ادهم ) المدربة لتلفظ ذلك الصوت

الحاف ، وتغير فيه صوت محرك سيارة تقترب ، حتى تبته عقده

على الفور ، ففهر من فراشه ، وانفطت مسدات من تحت

وسادته ، وانفدع في خفة قط نحو النافذة

ومن بعدد ومع أصواء لشروق الأور ، رأى سيارة

تقرب ..

وكانت سيارة شرطة مكسيكية ، فاعتدل قائلا في سخرية

— يبدو أن الحرب ستبدأ مسارا جديدا

وارتدى قميصه في هدوء ، مع اقتراب السيارة ، ووضوح صوته ، ولم يدهشه أن اندفع ( برونكو ) إلى حجرته ، وهو يقول مضطرباً :

— هناك سيارة شرطة تقرب .

أحابه ( أدهم ) في هدوء ، وهو يحشو قميصه داخل سرواله :

— أعلم ذلك .

ألقى ( برونكو ) حده على أقرب مقعد ، وهو يهمهم مبارزاً :

— وماذا سيفعل ؟

تأكد ( أدهم ) من حشو مئذنه ، ثم دسّه في حزامه ، أسفل القميص ، وهو يقول في حجة تدعو إلى الطقة — اترك الأمر لي ..

كانت عبارة مطاطة شبيهة ، قد لغنى كل شيء ، أو لا لغنى شيئاً بالثرة ، إلا أن اللهجة التي نطقها يا ( أدهم ) أخبرت ( برونكو ) ، وحسبت الكلمات في حلقه ، وإن لم تجمع في مخبر شخوب وجهه وتولّره ، حتى ماله ( أدهم ) ، وهو يشير إلى الضابط المكسيكي ، الذي غادر سيارة الشرطة ، بعد توقفها أمام المنزل :

— ما اسم هذا الشرطي ؟

أحابه ( برونكو ) في لحفوت :

— ( جوربه )

ثم اتاحت بوبة معاجة من التوتر والعصية ، وهو يستطرد

— ولكنني أحذرك . إنني أرفض التورط في مشاكل دموية

مع رجال الشرطة الرسمية

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول :

— مشاكل دموية ١٢ من أشار إلى تلك الأمور البهجة .

وتسلل شيء من الغموض إلى ابتسامته ، وهو يصف

— إننا نسي الأمر بصورة وذبة مع الضابط ( جوربه )

غمغم ( برونكو ) في دهشة .

— وذبة ١٢ .

ثم استطرد في حدة :

— من الواضح أنك تجهل كل شيء عن كيفية إدارة الأمور

في ( كيوا ) ، يا ( أمير ) . إنك ( جوربه ) هذا واحد من

رجال ( توماس ) . وما دام قد أرسله إلى هنا ، فهذا يعني أننا

في مأزق حرج زهيب .

اتسعت ابتسامته ( أدهم ) ، وهو يقول

— فلتعكس الآية إدد ، ولنضمه هو في مأزق حرج



ترك ( برويكو ) عارقي دهشة . واتجه في هدوء إلى باب  
البرل . ولم يكن يسمح ( جوريه ) ، الذي رسم على وجهه  
علامات الصرامة والعنف ، حتى انقسم ملوحاً بده . قائلا  
— مرحبا أيها الصابط . من خشي حداثتك قد أتت هنا .  
فلديها شكوى عند سيور ( توماس موران )  
كانت مفاجئة لـ ( جوريه ) . طاحت بفاح الصرامة من  
على وجهه ، فازابت مضطرباً :

— عند سيور ( توماس ) ؟  
اتجه إليه ( أدهم ) . ووضع يده على كتفه في ود عجيب .  
وهو يشير إلى سور المزرعة المظلم من بعد . وهو يقول  
— بالتأكيد انظر لقد اتفهم مع رجاله مزرعة قبرا  
ليلة أمس

بعض ( جوريه ) دهشة . وانعص قائلا في غضب  
— ماذا تفعل أيها الرجل " . يسى هنا من أجل  
قاطعه ( أدهم ) وهو يمس في أذنيه . بلهجة لוח حتى مخطورة  
الأمر :

— اصمت الآن . فلا يجب أن يستمع ( برويكو ) وابنته  
إلى حديثنا .



تجه به تهم . ووضع يده على كتفه ود عجيب . وهو يسير في  
سور المزرعة المظلم من بعد

حذق ( حورية ) في وجهه بهشة . وهنف

— ماذا لقيني ؟

عمره ( أدهم ) بيده . مستطردا بنفس اللهجة

— أصب الآن . ودعنا بتعد قليلا . فليس أحب أن

يذكرك الرجل وابنته ما سأخبرك به .

ارتبك ( حورية ) ، وحار في امر ( أدهم ) ، وراح يتطلع

إليه في دهشة واسكار . و ( أدهم ) يقوده بعيدا عن

( برويكو ) و ( ماريان ) ، اللذين اكسهما الدهشة

بدورهما . ثم أوقفه على بعد مناسب . ومال نحوه يقول في حزم

— سمع . انسى أشعر بك رجل هل لنفقة . ولذلك

سأخبرك بالسّر . على أن تتعاون معا

فمر ( حورية ) فاه في دهشة ، وهو يستقيم كالأنبله

— السّر ؟

تابع ( أدهم ) بنفس اللهجة :

— الواقع أنى أعمل حساب الضربات الأمريكية

هبطت العبارة على أذن ( حورية ) كالقنبلة . وابتدعت كل

عظيرته وتعاليه . فابهارت ملامحه . وهو يحدّق في وجه

( أدهم ) ، الذي استطرد :

— وهذا في إطار التعاون بين صحابراتنا والحكومة

المكسيكية . لتعطيم أوجه الفساد في ( كيووا ) ، فلدينا

معلومات تقول إن بعض رجال الشرطة والقضاة يعملون

لحساب ( توماس موران ) . وإنهم يتقاضون منه رواتب

شهرية . ونحن نخطط لتعطيم هذه الفئة قانما هل تفهمي ؟

هز ( حورية ) رأسه ينجانا . وهو يكاد يسقط بسكته قلبية .

تابع ( أدهم ) في جلبة عجيبة :

— والواقع أنني أحتاج إلى تعاونك في هذا الشأن ،

فستراقب ( توماس ) لحسابنا ، وستلغني بأمر كل ضابط

شرطة أو فاحص يتعامل معه . أو يعمل لحسابه . هل توافق ؟

أسرع ( حورية ) بيتف وهو يرتجف .

— بالتأكيد .

— اعتدل ( أدهم ) ، وانتمسم فائلا

— حسنا . متى أنتظر أول المعلومات ؟

هنف ( حورية ) ، وهو يرفع يده بتحية عسكرية :

— في أول فرصة

عقد ( أدهم ) حاجبيه ، فائلا في حزم

— لا تؤذّ التحية . إننى هنا في مهمة سرّية

هتف ( جوريه ) مرتبكا

— بالتاكيد ياسيدى . بالتاكيد

لوح ( أدهم ) بكفه ، وهو يقول :

— حسنا يا اذهب ليد مهنتك على الفور

انطلق ( جوريه ) فى خطوات أقرب إلى العدو ، وفهم

داخل سيارته ، وانطلق بها كالصاروخ . فاندفع ( برونكو )

لجو ( أدهم ) هاتفا :

— ماذا فعلت به يا ( أميجو ) ؟ لقد رأيتاه يؤدى لك عبا

مسكرية ، ويرتجف أمامك . ماذا فعلت به ؟

فقهه ( أدهم ) صاحكا ، وغال

— لقد أثرت ذعره .. أرأيت كم هى بسيطة تلك الامور

ياسنيور ( برونكو ) .

حذق ( برونكو ) فى وجهه بلقول ، ثم هص فى غضب

— أى رجل أنت ؟ . لنا نواجه خطرنا دائما ، رأب

تصرف كالمو أنها مسرحية هزلية

أجاب ( أدهم ) فى هدوء .

— العالم كله مسرحية هزلية ياسنيور ( برونكو )

والأحق وحده من يحوله إلى مأساة باكية .

صرخ ( برونكو ) :

— لت صعد السماع فلسفتك فى الحياة يا ( أميجو ) ..

إنك لا تدرك ما فعلته بنا ، بعد أن أنقذنا حياتك

قال ( أدهم ) فى حيق :

— إنى أحاول الحفاظ على مزرعتك ياسنيور

( برونكو ) .

هتف ( برونكو ) فى حرارة :

— مقابل حياتى أليس كذلك ؟ . يبدو أنك قد نسيت

فى والد لفتاة شابة ، تحتاج إلى بقاء على قيد الحياة لرعايتها

بقى ( أدهم ) صامتا فى حيق ، حتى اقتربت ( ماريلانا ) ،

ورفعت حل كتف والدها ، مضغمة .

— لقد كان ( أميجو ) يحاول معاونة يائى .

تم ( برونكو ) فى انهار .

— وبالحا من معاونة !!

كل هذا كان يحطم فى أعماق ( أدهم ) الكثير .

ونبت الكثير

وفى حزم حل كل قوته وصلابه قال :

— اطمئن ياسنيور ( برونكو ) ، لن يصيبك أو ابتك أدنى

ضرر

غمهم ( برونكو ) :

— هذا ما توقعه

أجابته في حزم :

— بل هذا ما عرمت على لفظه .

وفي خطوات صارمة ، عاد ( أدهم ) إلى المنزل ، وانزع  
بتدقية ( برونكو ) المعلقة على الحائط ، ثم اتجه نحو جواده .  
و ( برونكو ) يقابله صامتاً ، فهضت ( ماريلينا ) والجرجع بدلاً  
قلبا .

— إلى أين ؟

أجابها دون أن يلتفت .

— إلى الحقل

وبقفزة رائعة ، اهل صهوة جواده ، وجذب عناله ،  
فارتفع قائماً الحصان وهو يصهل في حماس انطلق إليه من راحته .  
ثم انطلق الرجل والجواد  
وبدأت المعركة .

\*\*\*

## ٩ — الحرب ..

« اخبارات الأمريكية ١٢ » .

نطق ( توماس ) العبارة بكل الدهشة والقلق والاستكار ،  
وهو يحدق في وجه ( جوريه ) ، الذي نقل إليه كل ما دار بينه  
وبين ( أدهم ) ، فأوماً ( جوريه ) برأسه إيجاباً ، وقال وهو  
يرتجف .

— نعم يا سيور ( توماس ) . هو نفسه أخبرني بهذا  
عاد ( توماس ) يحدق في وجهه بدهشة ، قبل أن يقول في  
عصية

— أي خفاء هذا ؟ وهل من المطلق أن يكشف رجل  
مخابرات نفسه على هذا النحو ؟  
أجابته ( جوريه )

— لقد قال إنه يشد تعاوني يا سيدي ، وأنه هنا بالتعاون  
مع السلطات المكسيكية ، لكشف أمرك ، وأمر من يتعاونون  
معك .

بدأ الاضطراب على وجه ( توماس ) ، وهو يقول

— مستحيل ! لا ريب أنه كاذب محادع  
تدخل محاميه ، فائلاً :

— ولكن هناك احتمال صدق ياسيور ( توماس )  
هاتف ( توماس ) ، وهو يتوَّح بيده في حذوة

— مطلقاً لو أنه رجل محابرات أمريكي ، فهو يعرف أن  
( جوروي ) يعمل حساباً حقناً ، ومن المستحيل أن يكشف له  
أمره هكذا

قال المحامي

— ربما هي متاوردة مدروسة ، لمعرفة رد فعلنا إزاء الموقف  
صاح ( توماس ) في عصبية .

— مستحيل ؟ إني أرفض هذا المنطق

قال المحامي في لهجة تنطوي على بعض الصرامة

— معذرة ياسيور ( توماس ) ، ولكن دعني أدتذكرك أنك

لا علك حتى الرخص ، فليست تعمل وحدك

عقد ( توماس ) حاجبيه في غضب ، وهو يقول

— ماذا تريد بالضبط ؟

أجابه المحامي ، وقد استعاد سمته الهادئة

— أريد أن ندرس الأمر بشيء من التفصيل والتروى ، فهل

الرغم من غرابة موقف ( أميحو ) هذا ، إلا أننا قد لاحظنا شيئاً  
أنه ليس مكسيكياً ، وأن بشرته وملامحه يجعلانه أقرب إلى  
الأمريكيين ، أضف إلى هذا خرقته المذهبة ، وأساليبه المتكررة ،  
وقدرته القتالية المتطورة ، التي جعلته يهرم أربعة من رجالك  
في ثانتين لمحسب كل هذا يشير إلى أنه ليس رجلاً عادياً  
إنه رجل من نوع خاص .

وصحت لحظة ، ثم أضاف وهو يضغط حروف كلماته .  
— رجل محابرات .

امض وجه ( توماس ) لخطات ، ثم لم يلبث أن استعاد  
حذته ، وهو يقول :

— أو مغامر مصعرج .

التقط المحامي سماعة الهاتف ، وقال وهو يضغط أزراره  
— هناك وسيلة للتأكد .

ثم قال لغير الهاتف :

— مرحباً يا ( أندريا ) إنه أنا ( كال ) . اسمعني

جيداً هل لديكم أية أعمال خاصة ، مع السلطات المكسيكية  
في الوقت الحالي ؟

بدا الاهتمام على ملامحه ، وهو يستمع ، قبل أن يقول  
— مطلقاً !

ثم ابصم في ارتياح ، وقال .  
— سنأيا (أندرها) بالتأكيد . متحصل على مكافأة  
جيدة .

وأعاد ساعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول في ابتهاج  
— هذا الرجل لا يهتم إلى المخاطر الأمريكية  
أثناء فجأة صوت ساخر ، يقول :  
— لو أنك سألتني مباشرة لحصلت على الجواب نفسه أيها  
الوغد .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت في ذهشة تنمّح بالذعر ،  
وتجمّدت الدماء في عروقهم ، وهم يتطلعون إلى (أدهم) ،  
الذى وقف هادئا متبسّما عند النافذة ، يصوب إليهم بديقته .  
ويستطرد في سخرية :

— عجباً ! هل أدهشكم وحوذى إلى هذا الحد ؟  
منعت لحظات من صمت نفعم بالذفول ، قبل أن ينف  
(توماس) :

— كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) ساغراً :

— على قدمي .

صرخ (توماس) :

— كيف اخترقت حواجز الأمن ؟

أجابه (أدهم) متهمكاً :

— آه حواجز أمن ؟ لم يعترض طريقى سوى رجلين ،  
حطمت أنف أحدهما ، وأسكن الآخر ، وبعدها أوقفت التيار  
الكهربي ، الذى يسرى في سور المدرعة ، وأتيت إلى هنا  
مباشرة

هتف الهامى :

— ألم يعترضك أحد ؟

هز كفيه قائلاً :

— مطلقاً

ثم أضاف في سخرية :

— لقد قطعت الطريق من البوابة إلى هنا في هدوء ، على  
صهوة حوادى ، حاملاً بندقيتي على كتفى ، ورجالكم  
يتشرون في كل مكان ، دون أن يبالى أحدهم عمن أكون  
أو أعمل ، وكأنى بهم يظنّوننى أحدهم

هضم الهامى في سُخط :

— هذا ما ظنّوه بالتأكيد .

ثم أضاف في غضب :

— لقد حدثت مراراً من الاعتقاد على المرتبة يا سيور  
(توماس)  
ظن (توماس) يحدق في وجه (أدهم) وبديته لحظات ،  
ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وقال في حدة  
— حسناً .. ماذا تريد ؟  
أجابه (أدهم) ساغراً :  
— لقد سألت المهم يا (توماس) إني لم ات لاجد ،  
ولمّا لأعطيك  
غمغم (توماس) في دهشة :  
— تعطيني ماذا ؟  
صوب (أدهم) بديته إلى رأس (توماس) ، وهو يقول  
في برود مفاجئ :  
— عاريتك في رخصة ؟  
ترجع (توماس) بحركة غريبة ، وهو يقول  
— لا  
ثم لم يلبث أن شعر بالصيق مما فعل ، فاعتدل عافذا حاجبيه ،  
قائلاً في عصبية شديدة  
— اسمع يا هذا إني مستعد لدفع أي مبلغ تطلبه

قال (أدهم) في هدوء  
— إلى أي حد ؟  
هتف في توتر :  
— سأدفع مائة ألف دولار بل ربع مليون دفعة واحدة  
انهم (أدهم) في سخرية ، وقال  
— أرى كم مررعة يمكن شراؤها بمثل هذا المبلغ  
اندفع الهامى يقول في حدة .  
— حسناً .. كم تريد بالضبط .  
اعتدل (أدهم) ، وأجاب في صرامة  
— مزروعة (برونكو) .  
هتف (توماس) في دهشة  
— ماذا ؟  
كؤر (أدهم) في لهجة خفية :  
— أريد مررعة (برونكو) أريد تعهداً كتابياً بعدم  
المساس بها ، أو بمالكها .  
انفتحت بظرات (توماس) والهامى (كال) في حيرة ، ثم  
قال (كال) متوقفاً :  
— اسمع يا سيور (أميجو) إنا على أنتم استعداد لدفع

أى مبلغ يطلبه سيور ( برويكو ) مقابل مزرعته . سدفع له  
لثنا جبرئيل ، و ....

قاطعه ( أدهم ) في صرامة :

— لا ، إنه سيحفظ بالمزرعة .

تبادل الاثنان نظرات التوثر مرة أخرى . ثم قال ( كال )

— الواقع أن هذا أمر عسير ، و . . .

قاطعه ( أدهم ) مرة أخرى ، في صرامة أشد

— في هذه الحالة نحدد مضطراً لقتلكما معاً

صرخ ( توماس ) :

— لا . لن يمكنا التراجع أقسم لك

بدت العبارة مخيرة لـ ( أدهم ) فسأله في حرم

— لماذا ؟ أأنت صاحب الأمر هنا ؟

جفف ( توماس ) عرقه في اضطراب ، وهو يقول

— الواقع أنني لست .

رماه الضامى بنظرة نارية ، جعلته يتر عياره بخته ،

ويستطرد في تولثر :

— لست مستعداً للتراجع .

لم تعطلي عينا ( أدهم ) المدرجتين ما حدث ، وجعلته غريبه

يقول :

— لماذا تحاول إخفاء الأمر أيا الوغد من الواضح أنك

لست صاحب الكلمة الأخيرة في هذا الشأن

ارتبك ( توماس ) في شدة ، في حين قال ( كال ) في

عصية

— ليس لك شأن بهذا لقد قدمت لك عرضاً لشراء

مزرعة ( برويكو ) بأى سعر . وهذا كل ما أمالك لتقديمه .

ابتسم ( أدهم ) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول

— خطأ يا رجل إن لديك الكثير لتقديمه في

ارتسمت على شفهي ( كال ) ابتسامة ارتياح مباغتة ، وهو

يقول :

— هكذا ؟ يبدو أننا لن نطلق أبداً ياسيور ( أميجو )

وفجأة ، انصرفت قوّة مسدس باردة بظهر ( أدهم ) ،

وارتفع صوت صارم من خلفه يقول

— هنا يا رجل . ألق سلاحك . ما لم ترغب في الرحيل عن

هناك بهذه السرعة . هنا . إننى لا ألتزم بالصبر

\*\*\*



## ١٠ - واشتعلت النيران ..

من السمات التي يتميز بها ( أدهم صبرى ) كونه رجلاً لا يحب إضاعة الوقت ، ويكره الاستسلام تماماً وعندما التصقت بظهره قوة المسلح ، أدرك على الفور أنه لن يستسلم ، على الرغم من أنه لم يكن قد استعاد ذاكرته ومعرفته بنفسه ، وبقدراته بعد ..  
ولمضأة ، ومع آخر حروف كلمات الرجل ، تمزق ( أدهم ) ..

لقد انحنى بسرعة مذهلة ، ودار على عقبه ، ثم كال للرجل لكلمة كالقنبلة في معدته ، وهب وألقا ، عندما اثنى الرجل ، وحطم فك هذا الأخير بكعب يديته ، وألقاه من النافذة إلى الأرض .

ولكن هذا كان إيذاناً باشتعال النيران

لقد رأى رجال ( توماس ) ما أصاب وميلهم ، عندما هوى من الطابق الثانى إلى الأرض ، فاستلوا أسلحتهم ، واندفعوا نحو المنزل ، فى نفس اللحظة التي التزم فيها المحامى مئذنه من سرعتهم ، وصرخ .

— سمعوت أيا العين .

ثم أطلق رصاص مئذنه نحو ( أدهم )

وبحركة غريزية سريعة ، انحنى ( أدهم ) متفادياً الرصاصة . ثم أطلق من يديته رصاصة أطاحت بمئذنى المحامى ، الذى تراجع صارخاً فى رعب لا يفتنى

وفى نفس اللحظة التحم المحجرة سبعة من رجال ( توماس ) ، شاهدين أسلحتهم وغضبهم .

وصار ( أدهم ) بين شفى الرضى ما يلرب من للاثين رجلاً يندفعون إليه من الخارج وسبعة من الداخل

ولم يكن هناك مجال للاختيار وبلا تفكير ، ففر ( أدهم ) داخل الحجرة ، وأطلق يراى يديته على رجلين ، قبل أن يقفز خلف منصة كبيرة ، تلفت وجهه رصاصات الحمة الباقين

وصرخ ( توماس ) ، وهو يعدو خارج الحجرة -  
— اقتلوه . اقتلوه .

ولم يكن الأمر يقضى شيئاً فى الواقع ، ففقدت الأسلحة

كلها مصوبة نحو ( أدهم ) ، الذى أطلق من بندقيته رصاصتين  
أخريين ، انزعجا التين من قائمة محبوسه ، قبل أن يطلع الباقون  
النافذة ، ويمطرونه بالرصاصات بدورهم  
وبدت النجاة في هذه اللحظة ، أقرب ما تكون إلى  
المستحيل ..

وفجأة ، صاح ( أدهم )

— كفى .. إني أستسلم .

توقف انهمار الرصاصات بلفة ، وراى صمت تام ، وكأنها  
حار الرجال في هذا الاستسلام المبالغ ، أو أنهم ينتظرون رأى  
زعيمهم في هذا الشأن ..

وشق ( توماس ) الصفوف مبهتجا ، وهو يهتف :

— ألق سلاحك ألقى سلاحك

ألقى ( أدهم ) بندقيته غير المائدة ، التى يغطي خلفها ، ثم  
بعض واقفا ، وهو يقول في هدوء  
— هاهنا ؟

انضخت أوداج ( توماس ) ، وهتف وهو يتجه نحو  
( أدهم ) :

— كان هذا أفضل ما تفعله بأرجل لا أحد يمكنه أن  
يتحدى ( توماس ) .



اتسم (أدهم) في أعماقه ساخراً، دون أن تظهر اجسامته  
عل وجهه ..

لقد قدر هذا قائماً ..

وأدرك أن (توماس) سيبقى عليه حياً لو استسلم  
لقد فهم طبيعة (توماس) السادية المتسلطة، التي تدفعه  
إلى الإبقاء على أعدائه، عندما يضمن سيطرته عليهم، حتى  
يستمتع بإذلالهم أولاً، قبل أن يوردهم تحتهم .  
وفي الواقع، كان (توماس) هو وسيلة الوحيدة  
للنجاة .

ولقد ترك (توماس) يقرب منه، وهو يتابع في رهو :  
— كان ينبغي أن تستلم من البداية، لقد كان هذا خليقاً  
بدفعي إلى قنلك دون ألم، أما الآن .

فجأة، ففر (أدهم) من موضعه، وأحاط عني  
(توماس) بذراعه في قوة، ثم انتزع المئس الذي يخفيه في  
حرامه، والصفد برأس هذا الأخير، قبل أن يلمس وجاله  
حركة واحدة، وهتف في صرامة :

— خطوة واحدة وأفجر رأس زعيمكم الزغد هذا .

— شجب وجه (توماس)، وهتف في زعج :

— لا .. لا تفعلوا شيئاً .

وهتف الخامي في غضب :

— كنت أعلم أنه داهية .

اتسم (أدهم) في منخريه، وهو يلكز (توماس) بفؤفة  
المئس، قائلاً :

— هيا أيها الطفل المطيع، مر رجالك بإلقاء أسلحتهم،  
والاستسلام في هدوء .

تحشح صوت (توماس)، وهو يقول لي حتى :

— ألقوا أسلحتكم .

أنفى الرجال أسلحتهم في منحنى، وعيونهم تتابع  
(أدهم)، الذي راح يدفع (توماس) أمامه، قائلاً :

— هيا .. أفسحوا الطريق، وأعدوا سيارة قوية .

هتف الخامي :

— إنك لن تبعد كثيراً يا رجل

أجابته (أدهم) في منخريه :

— ومن قال أنني أرغب في هذا ؟

واصل دفع (توماس) أمامه، حتى ركب معه السيارة،

ثم صعدت دواية الوقود في قوة، فانطلقت به السيارة مبتعدة،

وصحكه المجدلة ، تشلى السماء ، والهامى يلوح بقبحته  
غامباً ، هاتفاً :

— لن تبعد كثيراً .

وتابع بهمة السيارة ، حتى انحفت فى الأفق ، قبل أن  
يستطرد فى خفى :

— لقد صار ( توماس ) هذا أسخف مما نتحمل .

وانجبه إلى المنزل ، والرجال يلتفون حوله هاتفين .

— ماذا لفعل ؟ .. هل تطارده ؟

أجابهم فى حدة :

— لا داعى .. لقد اتخذت ما يلزم

وفى المنزل حمل ساعة الهاتف ، وقال فى حدة .

— أين ذهب ( جوزيه ) الوغد ؟ إبنى لم أره منذ بدأ

القتال .

أجابته أحد الرجال :

— لقد فقد الوعي ، فور ظهور ذلك الشيطان .

مطاً شقيقه ، قائلاً فى ازدراء :

— لقد الوعى ؟ .. يا للعار !

ثم ضاغط أزرار الهاتف ، وانظر حتى سمع صوتاً عجيبه من

الطرف الآخر ، فاعتدل فى احترام ، وقال :

— كيف حالك ياسيدى ؟ إله أنا . ( كال ) . إبنى

أحدث معك بشأن ( توماس ) نعم . لقد سقط مرة

أخرى ، ولم يقد يصلح لتولى المهمة هنا . نعم ياسيدى .. أنا

فى انتظار أوامرك .

برقت عيناه فى شراة عجيبة ، وهو يستمع إلى محدثه ، ثم

قال :

— بالتأكيد ياسيدى .. سأبذل أقصى جهدى شكراً

لك .

وأعاد ساعة الهاتف ، وهو يلتفت إلى الرجال ، قائلاً .

— الآن يمكنكم الانطلاق لتصبح السيارة .

سأله أحدهم :

— هل نطلق النار على ( أميجو ) مباشرة ؟

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول .

— بل على الاثنين . لقد أتت الأوامر الجديدة ، ولم يقد

( توماس ) زعيمنا .

سأله الرجل فى فضة :

— من الزعيم إذن ؟

بدت عيناه ككتلتين من الذهب ، وهو يجيب فى زهو .

— أنا ..

\*\*\*

لم يكذب ( أدهم ) يتجاوز سلسلة جبلية قصيرة ، حتى أوقف  
سيارته ، وهو يلتفت إلى ( توماس ) ، قائلاً :

— والآد يا عزيزي ( توماس ) ، قلنداً حديثاً الطويل .  
ارتحف ( توماس ) في رُعب ، وهو يحثق في فؤاده المسدس  
المصنوعة إليه ، قائلاً :

— ماذا تريد مني ؟

أجابه ( أدهم ) :

— كل مالهيك يا ( توماس ) كل مالهيك .. أريد أن  
أعلم لماذا تسعى لشراء كل أراضي ( كيووا ) ، ولحساب من  
تعمل ، ومن زعيم كل هذه اللعبة

شكّبه وجه ( توماس ) في شدة ، وهو يقول

— لن يمكنني أن أخبرك سيقولوني لو فعلت !

جذب ( أدهم ) إبرة مسدسه ، وهو يقول في صرامة :

— وسأفعلك أنا لو لم تفعل ماذا تختار ؟

بكى ( توماس ) من شدة رُعبه ، وهو يقول

— الرحمة ! الرحمة ! !

ثم هتف في مراوّة :

— لماذا تسعى لمعرفة كل هذا ؟ إنه لن يفيدك شيئاً

كان هذا السؤال غريباً لـ ( أدهم ) حقاً !

لماذا يسعى إلى المعرفة ؟ ..

لم يكن يدرك لحظة أن السعى وراء المعرفة هو مهنته . وأن

غريزته تقوده إلى فعل ما يفعله ، دون أن يدرك هو نفسه لماذا

كان وجلاً فقد ذاكرته ..

ولكنه لم يفقد نفسه ..

وفي حزم عنيد ، أجاب :

— لا شأن لك بأساقي ، مستجيب أسئلتى فحسب

ارتحف ( توماس ) في شدة . وهو يقول

— لا .. أرجوك .

صاح ( أدهم ) في غضب :

— أجب يا رجل . أجب وإلا ففجرت رأسك

برصاصاتي .

قال ( توماس ) مضطرباً :

— وهل تعدون بكتمان الأمر ؟ أغني هل يمكنك أن تكفي

عنهم أنني أخبرتك ؟

أجابه في حزم :

— أعذك .

تهد (توماس) في ارتياح ، واسترخى في مقعده ، وكأنما  
الزاح حمل ثقل عن نفسه ، وهو يقول :

— حسنا ، ما الذي تريد معرفته ؟

سأله (أدهم) :

— أريد أولاً معرفة سبب شراء الأرض كلها .

زفر (توماس) في قوة ، وقال :

— اليورانيوم .

كرّر (أدهم) في دهشة :

— اليورانيوم ؟

لوح (توماس) يده ، مشيراً إلى الأراضي المبسطة أمامه ،

وهو يقول في تولو :

— نعم يا رجل .. اليورانيوم .. كل هذه الأرض التي تراها

أما كنت تسبح فوق اليورانيوم ، ذلك العصر الذي دفع العالم

إلى الأمام ، واقتحم به عصر الذرة .. تلك المادة التي تعدّ البنية

الأولى في كل تفجير ذريّ .

غمغم (أدهم) في اهتمام :

— التفجير الذريّ يحتاج إلى البلوتونيوم يا رجل .

هزّ (توماس) كتفيه ، قائلاً :

— ربما .. لست أدرك شيئاً في هذه التصديقات العلمية ،

ولكنني أعلم أن أرض (كيبوا) تساوي مليارات الجنيهات ،

وأن من يملكها سيصبح أقوى رجل في العالم ، والمنظمة التي

أعمل لحسابها ستمتلكها عما قريب ، وستستخدم اليورانيوم

الموجود لصنع أقوى الأسلحة النووية ، كخطوة أولى في سبيل

السيطرة على العالم أجمع .

عقد (أدهم) حاجبه ، وهو يقول :

— أية منظمة تلك ؟

أجابته (توماس) :

— ربما لم تسمع باسمها أبداً من قبل ، ولكنها أقوى منظمة

في العالم كله ..

منظمة (سكوريون) ..

\*\*\*



ذوى الاسم في رأس ( أدهم ) ، وتردد داخله في غنف ..  
( سكوريون ) .. العقرب .. العقارب ..  
بدا الاسم مألوفاً بشدة في ذهنه ، إنه لم يجد صعوبة في  
استيعاب ما يرمز إليه ، إلا أنه لم يذكر أبداً متى سمع به أو  
علمه ..

وفي خيرة ، ردّد :

— ( سكوريون ) ؟

أجابه ( توماس ) :

— نعم .. إنها واحدة من أقوى منظمات العالم ، في لعبة  
الجانسونية ، ولها عشرات الأفرع ، في كل مكان في العالم ،  
ومنذ عام أو يزيد ، راحت المنظمة تبنى عشرات المقاعلات  
الذرية ، في أماكن خفية من العالم ، واستقطبت مئات العلماء  
البارزين في هذا المجال ، بهدف البدء في تصنيع كم من الأسلحة  
النووية ، يكفل للمنظمة القوة المطلقة ، ويجعلها في مصاف  
القوى العظمى .

ثم لّوح بلراعه ، هاتفا :

— وواجهتها مشكلتان .. المكان والحامات .

وابتسم وكأنما نسي حقيقة موقفه ، وهو يستطرد في زلهي :  
— وانتمك العلماء في أمثالهم ودراساتهم ، حتى توصلوا  
إلى الحقيقة ، التي تقول إن ( كبروا ) هي أفضل مكان في العالم  
بالنسبة لنا ، فهي واسعة ، مبسطة ، تحيط بها سلاسل جبال  
قوية ، تجعل منها وكراً مناسباً مثالياً ، ثم إن أرضها تحوى كمية  
رحية من اليورانيوم ، الذي نحتاج إليه .

وحارب مقعده بقبضته ، مستطرداً :

— وكان من الضروري أن تمتلك ( كبروا ) ، مهما كان

الظمن .

قال ( أدهم ) :

— حتى ولو قلم أصحاب الأرض ؟

أجابه في انفعال :

— حتى ولو أهدانا الحكومة المكسيكية نفسها .

وانجعت عيناه في جنون ، وهو يهتف :

— إنها القوة .. ألا تفهم ؟ .. القوة المطلقة .

قال ( أدهم ) في غضب :



— أتم مجانين .. حَقَّة من المجانين .

انطلق ( توماس ) يقهقه في جُنُون ، وهو يقول :

— بل نحن الأقوى بأرجل .. نحن الأعظم .

وفجأة برقت عيناه ، وهو يشير إلى بقعة من الغبار ، تقترب

من بعيد ، وقال :

— لقد وصل الرجال .

أدار ( أدهم ) عينيه إلى حيث أشار ( توماس ) ، ورأى

قافلة سيارات تقترب ، فقال في حزم :

— فليأكلوا .

ثم التصق لمؤخرة مسدسه برأس ( توماس ) ، مستطردًا :

— ما زلت أملك زعيمهم .

تولر ( توماس ) ، وهو يقول :

— ولكن لماذا انطلقوا خلفنا ؟

قال ( أدهم ) ساخراً :

— ربما يمشون لفتحك يا أمير الأحلام .

عقد ( توماس ) حاجبيه ، ولم يمس يديه حَقَّة ، وهو يتابع

الغراب قافلة السيارات ، في حين بقي ( أدهم ) هادئاً ، وهو

يتطلع إلى القافلة بذوره ، ويلصق مسدسه برأس ( توماس ) ،

حتى اقتربت القافلة كثيراً ، فهبط ( أدهم ) :

— لا تقتربوا ، وألاً فجَّرت رأس زعيمكم .

أدهشه أن رأى أحد الرجال يصوب إليه مدفعه ، فهتف

مستطردًا :

— إنني أحذركم .

أما ( توماس ) فقد شعر بكثير من الدُعر والقلق ، وهو

يتطلع إلى عيني الرجل ، الذي يصوب المدفع ، وعلمهم في

اضطراب :

— عجباً !.. ليس من المنطقي أن .....

وفجأة ، أدرك كل شيء ..

البحث الحقيقة في ذهنه بومضة خاطفة ..

ربما لأنه يدرك حقيقة المنظمة ، التي يعمل لحسابها .

يدرك قوماً ..

وقسوماً ..

وغدورها ..

ويكل الرعب ، صرخ ( توماس ) :

— لا .. لا ..

وانطلقت رصاصة الرجل ..



واختزلت رأس ( توماس ) ، الذي سقط جثة هامدة على  
الفور ..

وهنا أدرك ( أدهم ) حقيقة الأمر ..

لقد سقط درعه ، وجار عليه أن يواجه جهنمًا كاملاً ..  
وحده ..

\*\*\*

[ انتهى الجزء الأول بحمد الله ، ويليه الجزء الثاني ]

( الأخطبوط )

**مع تحيات منتدى ليلاس**

رقم الإصدار : ٣٦١٩